
سقاف بن علي الكاف
حقيقة
الفرقة الناجية
كل أمتي في الجنة إلا من أبى
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
دار القلم
دمشق
الدار الشامية
بيروت

حقيقة

الفرقة الناجية

كل أمتي في الجنة إلا من أبى

حديث شريف

تأليف

سقاف بن علي الكاف

دار القلم
دمشق

الدار الشامية
بيروت

طَبْعَةُ دَارِ القَلَمِ الأُولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٥٠١ - هاتف : ٣١٦٠٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة وتمهيد

الحمد لله المنفرد بالأحدية، الهادي إلى الطريق السَّوِيَّة، القائل: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1].

وأصلِّي وأُسلم على سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، القائل: «المؤْمن للمؤْمن كالبنيان يشُدّ بعضُه بعضاً»[2]، والقائل: «مَثَل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»[3]، ويحذِّرنا من الفُرقة بقوله عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «لا تَرْجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضُكم رقابَ بعض»[4].

أما بعد، فعندما وُجِدت باكورة الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي تكالب عليها أعداء الإسلام في الشرق والغرب وكادوا لها صنوفاً من المكايد لكي يفرِّقوا شمل هذه الأمة ويسلِّطوا بعضها على بعض فانطلقوا يُنَقِّبون في تراثنا الإسلامي لعلهم يجدون فيه بُغْيَتهم كما وَجَد أسلافهم في الماضي فرصة لتفريق المسلمين، ولكن سيرتدُّ كيدُهم إلى نحورهم كما ارتد كيدُ أسلافهم إلى نحورهم ما دام بأيدينا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[5].

---

(١) الآية ٩٢ من سورة الأنبياء.

(٢) أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي.

(٣) أخرجه الشيخان وأحمد.

(٤) متفق عليه.

(٥) الآية ٣٢ من سورة التوبة.

ولكون الصحوة الإسلامية وُجِدتْ في كلٍّ بقاع العالم الإسلامي المترامي الأطراف، وهو الذي يشكِّل أكثر من عُشْر المعمورة، ولصعوبة الاتصال بين أقاليمها، وعدم وجود الخلافة التي تتولَّى التوجيه، نشأت بطبيعة الحال عديد من الحركات، وذلك بحسب اجتهاد كلٍّ جماعة، ولا سيما أن الدعاة يتعرضون للاضطهاد من قِبَل السلطات الحاكمة في معظم العالم الإسلامي مما اضطرهم للعمل السرّي وكتمان أمورهم. وعندمااشتدَّ عود كل حركة وبرزت هذه الحركات على السطح عَمِلت كل حركة على حمل الجماعة الأخرى على اتّباعها[1] في المنهج مدّعية أنها هي الفرقة الناجية[2] وسائر الفِرَق ضالّة وبذلك تكون هالكة وفي النار. فاستغل الأعداء هذه الدعوات بالفُرقة فأذكَوْها واستأجروا الأقلام الضالة ووعّاظ السلاطين لِيُعمِّقوا الفتنة وركّزوا في فتنتهم هذه على كتب[3] الملل والنِّحَل وتاريخ المذاهب الإسلامية وما لفّ لفّها من المصنفات الإسلامية في القرون الماضية جاعلين محورهم في تفريق الأمة الحديث الصحيح وما شابهه، مثل ما أخرجه الترمذي: «لتأتِيَنَّ على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، تفترق على اثنتين وسبعين ملة وتفترق أُمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلاَّ ملة واحدة، قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»[4]. ومن خلال متابعتي لهذا الحديث وشروحه وكتب الملل والنحل وتاريخ المذاهب وجدت أنهم جعلوا الفُرقة في أُمة الإجابة أي أهل القِبلة وليس لهم دليل فيما ذهبوا إليه من فهم سوى إضافة الأمة إلى النبيّ ﷺ في قوله: «أُمتي»[5]. والأدلة تفيد بأن أمة النبي ﷺ هي جميع البشرية منذ بعثة رسول الله ﷺ إلى قيام الساعة، والفُرقة المذكورة في الحديث واقعة في أمة الدعوة لا أمة الإجابة، والمقصود هنا الخلود في النار لا الدخول فيها، ويتضح لك هذا في ثنايا هذا البحث وضوحاً جلياً إنْ شاء الله، وعندما رأيت شرّاح هذا الحديث وأهل كتب الملل والنحل ينتحون هذا النحو

---

(١) انظر مبحث سبب تصنيف هذا الكتاب.

(٢) انظر كتاب حسين محمد عليّ جابر: «الطريق إلى جماعة المسلمين»، وكتاب محمد جميل زينو: «الفِرقة الناجية».

(٣) انظر المبحث الثالث.

(٤) انظر مبحث الذين كتبوا في افتراق الأمة من المتقدمين والمتأخرين.

(٥)انظر مبحث أمتي.

وانتحوتُ نحواً آخر أي بجعل الفُرقة في أمة الدعوة لا أمة الإجابة، رجعتُ في الاحتكام بيني وبينهم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، حيث قال الله سبحانه في محكم التنزيل: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[4].

وروى عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تَبَعاً لما جئتُ به» أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول وأبو نصر السِّجْزي في الإبانة وقال حسن غريب والخطيب التبريزي، وقال فيه الإمام النووي في أربعينه: هذا حديث حسن صحيح ورُوِّيناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

وما ذهب إليه شُرّاحُ حديث افتراق الأمة سالِف الذكر وأهلُ كتب الملل والنحل ليس له دليل من كتاب ولا سنة، وسيتبين ذلك لك في ثنايا البحث، ولينظُرْ طالب الحق فيما وافق كتابَ الله وسنّةَ رسوله فيعتقده صحيحاً لا شبهة فيه ويعمل به ويلتزمه، وفيما جاء مما لم يكن له في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما يؤيده ويثبت صحته فينبذه ولا يلتفت إليه بل يؤمن ببطلانه ويعمل على تغييره، ومن ادَّعى قولاً بلا دليل فإنه يقول على الله الكذب.

١ ـ وهذا أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يضرب لنا مثلاً في الرجوع لكتاب الله ـ في قضية تحديد المهور ـ كما ورد في حديثه، وهو بعد ما خطب الناس، ناهياً عن المغالاة في أصْدَاق النساء وألاَّ يزدن على أربعمائة، فقالت امرأة

---

(١) (٢) (٣): الآيات ٦٥، ٥٩، ٨٣، من سورة النساء. (٤) آية ١٠ من سورة الشورى.

من قريش: يا أمير المؤمنين، أكتابُ الله أحقّ أن يُتّبع أو قولك؟ قال: بل كتاب الله، فما ذاك؟ قالت: نهيتَ الرجال آنفاً أن يتغالَوْا في صُدُق النساء، والله يقول في كتابه: ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ - ورواية عبد الله بن مسعود: قنطاراً من ذهب - فقال عمر: «كل أحد أفقه من عمر» مرتين أو ثلاثاً، ثم رجع إلى المنبر، فقال الناس: إني كنت نهيتكم أن تغالوا في صداق النساء، ألا فليفْعَلْ رجل في ماله ما بدا له. أخرجه أبو يعلى في المسند الكبير بسند جيد، ورواه البيهقي في سننه بسند جيد، وعبد الرزاق والزبير بن بكار وابن المنذر. نقلناه بتصرف انظر: المقاصد للسخاوي وكشف الخفاء للعجلوني.

٢ - وذكر لنا ابن القيم في كتابه السياسة الشرعية[١] مقالة حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما حيث قال: «يوشِكُ أن ينزل عليكم حجارة من السماء، أقول لكم قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبو بكر وعمر»، وكذلك سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما كانوا إذا احتجوا عليه بأبيه يقول: إن عمر لم يُرِدْ ما تقولون، فإذا أكثروا عليه قال: أَفَرَسُول الله ﷺ أحق أن يُتّبع أم عمر؟.

فانظر إلى ابن عباس وإلى ابن عمر يَرُدَّان قول خليفتَيْ رسول الله وخير خلقه بعد نبيه إذا ذُكر قول لهما وذكر حديث رسول الله ﷺ. فما بالك بأقوال العلماء إذا تعارضت مع الأصلين؟! فلا شك أنهم إذا لم يأتوا بدليل إلى ما ذهبوا إليه فهو أجدر بالردِّ.

٣ - وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كلٌّ يؤْخذ من قوله ويترك إلا قولَ صاحب هذا القبر».

٤ - وذكر الغزالي في إحياء علوم الدين قولَ الإمام مالك بن أنس الأصبحي رضي الله عنه - إمام دار الهجرة - : كلٌّ يؤخذ من قوله ويُترك إلا قولَ صاحب هذا القبر.

٥ - وقال الإمام الشافعي المطّلبي القرشـي في قولته المشهورة: «إذا صح الحـديث[٢] فهو مذهبي، وارموا بقولي عُرْض الحائط»، فإذا كان هذا أحد أئمة أهل السنة بل أئمة الإسلام يطلب أن يُرمى قولُه عُرْض الحائط إذا خالف حديث

---

(١) السياسة الشرعية لابن القيم: ص ١٨.
(٢) إذا صح وكان صالحاً للعمل به ولم تعترضه أمور وأمور.

رسول الله ﷺ، فمن باب أولى من كان دونه من العلماء والمؤلفين.

٦ ـ وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه، فيما رواه الحُمَيدي[١] شيخ البخاري، عندما حدّث الشافعي بحديث وقيل له: أتأخذ به؟ قال رحمه الله تعالى: «رأيتَني خرجتُ من كنيسة عليَّ زنّار حتى إذا سمعتُ لرسول الله ﷺ حديثاً لا أقول به؟!».

٧ ـ وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة رضي الله عنه، كما نُقل عنه في كتاب روضة العلماء، وقد قيل له: إذا قلتَ قولاً وكتابُ الله يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لكتاب الله، فقيل إذا كان خبر الرسول ﷺ يخالفه؟ فقال: اتركوا قولي لقول الرسول ﷺ.

٨ ـ وقال الإمام أحمد رضي الله عنه: «من رَدَّ حديثَ رسول الله ﷺ فهو على شَفا هَلَكة»[٢]، ذكره ابن الجوزي في كتاب مناقب الإمام أحمد[٣].

٩ ـ وذكر ابن القيم في كتابه السياسة الشرعية[٤]: قال شيخنا في تعليقه على المحرر: ويتوجه أن ينتفي حكم الحاكم إذا حكم بخلاف هذه فإنه خالف نص الكتاب العزيز بدلالات ضعيفة.

١٠ ـ وقول السبكي فيمن وجد حديثاً صحيحاً لم يَعمل به أحد: هل يسوغ له العمل به؟ قال رحمه الله في «معنى قول الإمام المطلبي»[٥]: «الأَوْلى عندي اتباع الحديث، ولْيفرِض الإنسان نفسه بين يدي النبي ﷺ وقد سمع ذلك منه، أيَسَعُهُ التأخر عن العمل؟ لَا والله، وكلُّ أحد مكلّف بحسب فهمه».

١١ ـ وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله في «جامع العلوم والحكم»[٦] في شرح حديث «الدين النصيحة»: «ومن أنواع النصح لله تعالى وكتابه ورسوله ـ وهو مما يختصُّ به العلماء ـ رَدُّ الأهواء المُضِلَّة بالكتاب والسنّة على موردها وبيانُ دلالتهما على ما يخالف الأهواء كلها، وكذلك رد الأقوال الضعيفة من

(١) انظر طبقات الشافعية للسبكي.
(٢) انظر تفسير المنار للاستزادة في هذا: المجلد الأول ص ٦٧.
(٣) ص ١٨٢.
(٤) ص ١٧٤.
(٥) ٢/١٠٢.
(٦) ص ٧٠.

زلات العلماء، وبيان دلالة الكتاب والسنة على ردها».

١٢ ـ وقد سَنَّ لنا الإمام عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، قانوناً في قولته المشهورة: (لا يُعْرَفُ الحَقُّ بالرِّجال، اعْرف الحق تَعْرِفْ أَهْلَهُ).

وبعد أن اطّلعت على كلام الأئمة والعلماء بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله في كل أمر من أمور التشريع فالذي ذهب له كُتّاب الملل والنحل والفِرَق في جعل الفُرقة في أمة الإجابة، قولٌ بلا دليلٍ والحكم بجعل المسلمين خالدين في النار فلا يبقى بعد ذلك أمة للجنة، لأن كلَّ فِرقة من الفرق الإسلامية تدّعي هي الفرقة الناجية وسائر الفرق والمذاهب الأخرى في النار. وبمقتضى هذا ستكون جميعها في النار[1]، وهذا متنافٍ مع كتاب الله وسنة رسوله، وبيّنتُ في هذا الكتاب أن الأدلة القرآنية والحديثية جميعها سواءً بالمنطوق أو المفهوم تجعل الفُرقة في أمة الدعوة لا أمة الإجابة وسيتضح لك هذا النحو الذي انتحيته وضوحاً جلياً.

فجعلت مرتكزي في إثبات ما ذهبت إليه استدلالاً من كتاب الله وسنة رسوله حتى لا يتردد في نفس القارىء شك بأن الفُرقة واقعة في أمة الدعوة وأن أمة الإجابة جميعها في الجنة[2] مصيراً. وقد تناولتُ في بحثي هذا ذكرَ سبب تدوين هذا الكتاب، ثم من كتبوا في الفرق والملل، والحكم على قولهم بالردّ حيث لا دليل معهم، ثم أفردت مبحثاً بالأحاديث الواردة في افتراق الأمة التي جعلها أعداء الإسلام لهم مدخلاً لتفريق الأمة الإسلامية ووصلتُ إلى نتيجة يقينية بأن هذه الأحاديث تدعو لوحدة المسلمين لا لتفرقتهم كما يزعم المغرضون، ثم أفردتُ بحثاً مستقلاً لكل جزئية من جزئيات الأحاديث الواردة في هذا المبحث[3].

وأحب أن أنبه هنا إلى أنّ من يريد الاستفادة من هذا البحث فليقرأه كلَّه حتى تُستكمل الصورة في ذهنه لأن هذا البحث وحدة واحدة، وكل مبحث من مباحثه يشكل فقرة من فقرات عمود هذا البحث، ولا يخفى بأن الحق واحد والباطل متعدد حيث قال الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل[4]: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا

(١) انظر مبحث النار.

(٢) انظر مبحث الجنة.

(٣) وهي عشرة مباحث فلتنظر.

(٤) الحق واحد في الأصول وأما في الفروع فمتعدّد لأنه أمر اجتهادي.

﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

وألفت نظر القارىء بأنني لم أورد في هذا الكتاب قائمة بالمراجع مكتفياً بذكرها عند كل موضوع، وأعتذر لخلوّ هذا البحث من الأسلوب الأدبي الذي يشدّ القارىء فمقتضى البحث ألزمني بذلك.

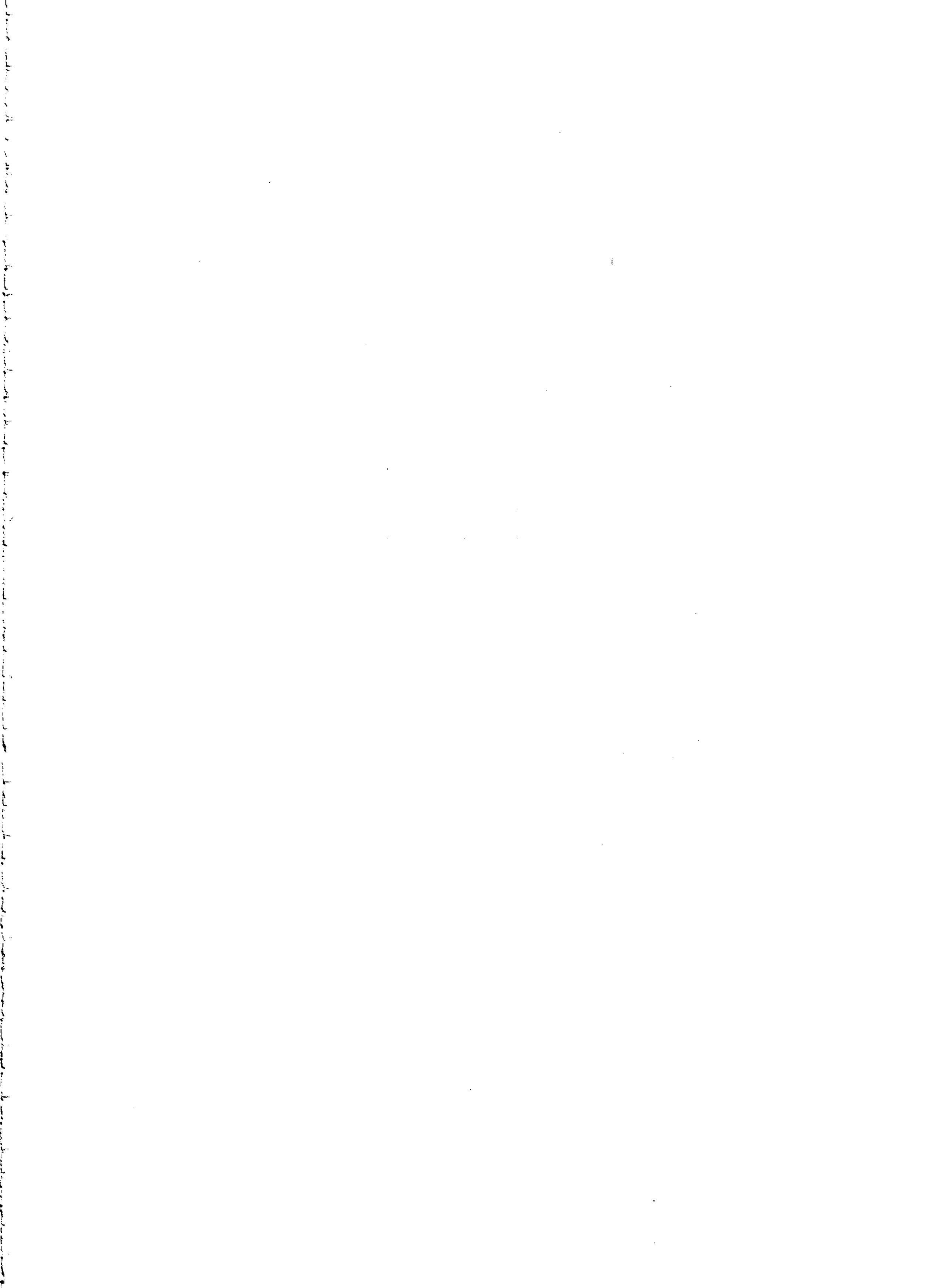
والله أسأل أن يجعل هذا العمل لوجهه الكريم وفي كفة حسناتي يوم الدين، وغيرةً على أمة الإسلام والمسلمين ودعوتهم إلى الوحدة ورص صفوفهم، وأن يعملوا معاً فيما اتفقوا عليه وليعذر بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه، فإن أصبت فهذا من عند الله وإن أخطأتُ فهو مني ومن الشيطان. وأسأل الله التوفيق وصلاح القصد، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من دعانا أجمعين للمحجة البيضاء التي ليلها كنهارها، وعلى آله نجوم الهدى وسفينة النجاة، فمن ركبها فقد نجا ومن تخلف عنها فقد هلك، وعلى أصحابه أعلام الهدى والنبراس المقتدى الذين أوضحوا لنا شريعة المصطفى، وعلى أئمة العلم الذين أقاموا البرهان والحجة على من زاغ وتولى، وعلينا معهم وعلى كل من حمل اللواء إلى يوم الدين.

سقاف بن علي الكاف

١٠ رمضان ١٤٠٨

الموافق ٢٦ إبريل ١٩٨٨

(١) الآية ١٥٣ من سورة الأنعام.



سَببُ تصنيفِ هَذا الكِتَاب

عندما برزت الصحوة الإسلامية في العصر الحديث على شكل جماعة في عام ١٣٥٦ هجرية الموافق ١٩٢٨ م بعد انهيار الخلافة الإسلامية العثمانية وبعد أن مرت الدعوة بعدة قنوات ومطالبات من قِبَل الدعاة المصلحين مبتدئةً بدعوة السيد جمال الدين الأفغاني، ومن بعده تلميذه الإمام محمد عبده، وغيرهما من الدعاة في أنحاء العالم الإسلامي الذين يصعب حصرهم ومعرفة منهجهم. مع أنّ الجميع يدعون إلى انتشال العالم الإسلامي من التخبُّط الذي يعيش فيه والعودة به إلى النظام الإسلامي تحت راية لا إله إلا الله، وتحكيم كتاب الله وسنة رسوله، بعد أنْ أنَّ المسلمون من وطأة القوانين الوضعية التي فرضها عليهم المستعمرون الغربيون من إنجليز وفرنسيين وطليان وروس وبرتغال وهولنديين أذاقوا العالم الإسلامي مرارة الذل والمهانة. على إثر الدعوات التي ترددت هنا وهناك غرباً وشرقاً وجنوباً وشمالاً استجاب المخلصون من أبناء هذه الأمة التي لا تقبل الضيم لتلك الدعوات. ولبعد المسافات بين أقطار العالم الإسلامي ولصعوبة الاتصال بين أقطارها وُجد في كل منطقة ودولة عديد من الحركات. ولما تشكله هذه الدعوة من خطر على الاستعمار الغربي تصدّى لها الاستعمار وأعوانه ممن يأتمرون بأمره بالاضطهاد والمطاردة حتى جَعلت هؤلاء المخلصين يتخفَّوْن بدعوتهم. وعلى إثر ذلك نشأت اجتهادات متعددة أوجدت عديداً من المنظمات والجماعات تتراءى للكثير بأنها متناقضة مظهراً وجوهراً ولكنها في حقيقة الأمر كلها تدعو لحاكمية الله وجعل كتاب الله وسنة رسوله مصدراً للأحكام ونبذ ما سواها من قوانين تتعارض معها، إلاَّ أن أعداء الأمة الإسلامية الذين عُرفوا بخبثهم ومكرهم ودهائهم كادوا لهذه الجماعات وفَتنوا بينهم حتى جعلوا كل جماعة تكفّر الجماعة الأخرى وتوصمها بالخروج من الإسلام وجعلوا لهذه الدسائس ركائز متعددة:

(أ) من مصادر منبثقة من التاريخ الإسلامي الذي يحمل ركاماً من الصراعات العقدية والفرعية والسياسية المتمثلة في الصراعات المذهبية التي تشقق إليها العالم الإسلامي، وأوجدت بين كل مذهب وآخر سدوداً من الأحقاد والبغض والكراهية بل أعداداً من الضحايا وأنهاراً من الدماء[١].

(ب) ونصَّبوا لتنفيذ هذه الفتنة سيلاً من عملائهم من كافة المستويات من حكام وعلماء ومثقفين وعمال ونساء حتى بلغ بهم أن ظهر الكثير منهم في مظهر المتدين مطلِقاً لحيته مُعْتَمّاً مرتاداً للمساجد يرصد الجماعات الإسلامية. وكثير منهم انخرط فيها وكانت مهمته وضع الأسئلة المثيرة للجدل والتشكيك.

(ج) وتوجهت مجموعة من هؤلاء الناس الذين بيدهم السلطة بتوجيه ضربات للدعاة الجادّين سواء بالقتل أو فَتْح السجون والمعتقلات وتعريض كلّ من وقع تحت يدهم للتعذيب والابتلاء حتى يُميتوا في نفسه نور دعوة الحق.

(د) وفتنوا الكثير بواسطة الإغراءات المالية والدعايات الإعلامية بوصمهم بالإرهابيين والمتطرفين، وبوصمهم أحياناً بعملاء الغرب وأحياناً بعملاء الشرق وأحياناً بالرجعيين[٢]، وكل كلمة نابية منفِّرة يطلقونها عليهم حتى يُنَفِّرُوا منهم الناس.

والجماعات الموجودة اليوم في العالم العربي وشبه القارة الهندية[٣]، وأما ما عدا تلك البقعتين فالحركات التي فيها تتقارب مع حركات هاتين البقعتين. وتتمثل هذه الحركات في الجماعات الآتية على سبيل التقريب لا الحصر[٤]، وهي:

١ ـ **الإخوان المسلمون**: التي أسسها الإمام حسن البنا عام ١٣٥٦ هـ

---

(١) انظر كتب الملل والنحل والفرق وتاريخ المذاهب، والمبحث الذي يلي هذا المبحث.

(٢) انظر كتاب: الطريق إلى جماعة المسلمين لحسين محمد عليّ جابر وعلى الأخص الملحق، طباعة دار الوفاء ـ المنصورة.

(٣) اخترنا هاتين المنطقتين لأنهما مصدر الحركات وخصصنا مصر بالذات لأنها تتمثل فيها كافة الاتجاهات.

(٤) كمثل حركة حزب السلامة في تركيا والحركات الإسلامية في أفغانستان وأندونسيا وماليزيا ونيجيريا التي لا نعرف عنها سوى النزر القليل من أفكارها. وفي الغالب تتفق مع الحركات الرئيسية كالإخوان والتبليغ والسلفية.

الموافق ١٩٢٨ م، ولها أنصارها في معظم الأقطار العربية وبعض الأقطار الإسلامية، وتلتقي في توجيهاتها مع الجماعة الإسلامية في القارة الهندية التي أسسها أبو الأعلى المودودي.

٢ ـ **الجماعات الإسلامية في الجامعات**: برزت هذه الجماعات في كافة الجامعات المصرية في العقد العاشر الهجري وسيطرت على الاتجاه الطلابي وكان لها دور فعّال، إلاَّ أنها انقسمت على نفسها فالغالبية منها التزم منهج الإخوان المسلمين والبعض اتجه لجماعة الجهاد.

٣ ـ **حزب الجهاد**: حزب تأسس في العقد العاشر الهجري ويؤمن هذا الحزب بالتغيير بالقوة، ومعظم أنصاره في صعيد مصر بين أسيوط والمنيا وسوهاج، ولم يُعرف له أنصار في غير القطر المصري.

٤ ـ **جماعة أنصار السنة المحمدية**: أسسها الشيخ محمد حامد الفقي عام ١٣٥٤ هـ/١٩٢٦ م بالقاهرة. ولها أنصارها ببعض البلاد العربية وباكستان والهند وبنجلاديش ويطلقون على أنفسهم «السلفيين» وأصلها بنجد.

٥ ـ **جماعة التبليغ**: جماعة تأسست في القارة الهندية بمديرية سهارنفور ومؤسسها الشيخ محمد إلياس بن الشيخ محمد إسماعيل الحنفي الكاندِهْلِويّ في حوالي عام ١٣٥٠ هـ تقريباً. ولها أنصارها في معظم البلاد العربية والإسلامية.

٦ ـ **حزب التحرير**: نشأ حزب التحرير في الأردن حوالي عام ١٣٧٧ هـ تقريباً. ومؤسسه الشيخ تقيّ الدين النبهاني، وله أنصار في بعض البلاد العربية.

هذا وتوجد جماعات إسلامية صغيرة ظهرت بنشاط وأفكار محدودة، ومن هذه الجماعات:

١ ـ **جماعة التكفير والهجرة**: تأسست في حوالي ١٣٩٥ هجرية وعلى رأسها المهندس شكري مصطفى، وسُمّيت بالتكفير لأنها تكفر كل من عُرضت عليه الدعوة ولم يستجب لهم ويقولون بالهجرة من دار الكفر لدار الإيمان. وقد تعرّضت هذه الجماعة إلى معارضة العلماء والصِّحافة ولهذا انْحَسَرَ امتدادها، وتُسمَّى في الأصل جماعة المسلمين.

٢ ـ **جماعات التوقف والتبيُّن والعزلة الشعورية**: هي جماعات صغيرة لم

يُعرف مصدر تأسيسها أو قيادتها، ومنهم جماعات في مصر اتُّهموا في قضية الاغتيالات.

٣ ـ جماعة القرآن وكفى: وهي جماعة تؤمن بالقرآن فقط، وهذه دعوة رددها كثير من الأشخاص في العالم الإسلامي: كالشيخ القاسمي في ماليزيا، والقذافي في ليبيا، وجماعة الشيخ الفرماوي في مصر، وغيرهم كثير. ويغلب على بعضهم الحماس الديني المقترن بعدم فهم الإسلام حتى القرآن نفسه، لأن القرآن يأمر باتباع السنة وغيرها من مصادر التشريع. انظر كتب أصول الفقه وانظر كتاب صلة السنة بالقرآن لفضيلة الشيخ محمد نجيب المطيعي رحمه الله تعالى.

٤ ـ جماعة الشيخ طه السماوي، الشهير بعبد الله السماوي: من أفكارهم محاربة محلات الخمور وأشرطة الفيديو والسينما. وهي جماعة صغيرة ليس لها وجود إلا في مصر.

٥ ـ الحزب الجمهوري بالسودان: مؤسسه المهندس محمود محمد طه، تأسست حركته في الخمسينات ودعوته مخالفة للإسلام. ويذكر الكثير أنها من الدسائس الغربية[1] لفتنة الشباب المسلم. انظر كتاب «حقيقة محمود محمد طه أو الرسالة الكاذبة» للشيخ محمد نجيب المطيعي، وهذا الحزب ليس له أتباع سوى في السودان.

٦ ـ وتوجد حركات في لبنان والعراق واليمن والبحرين والكويت منطلقة من تفكير شيعي كحزب الله ومنظمة أمل وحزب الدعوة وغيرها وغيرها.

ثم هناك العديد من الجمعيات التقليدية الخيرية، منها:

١ ـ جمعية الهداية الإسلامية بالسويس.
٢ ـ جمعية الشبان المسلمين.
٣ ـ جماعة دعوة الحق الإسلامية.
٤ ـ الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة.
٥ ـ جماعة شباب محمد ﷺ.

---

(١) كالدعوة القاديانية والبهائية.

٦ ـ الطرق الصوفية، وهي منتشرة في العالم الإسلامي بكامله تقريباً وتُعنى بالأذكار والأوراد وإصلاح الفرد.

وفي حقيقة الأمر فإن معظم المنتمين إلى هذه الحركات التي ذكرناها والتي لم نذكرها يجمعهم جميعاً حبهم لدينهم الإسلامي ويريدون النُصرة له إلا أنّ بعض المندسِّين حَرَّفُوا بعض الحركات عن سيرها السليم. والأعداء المتعدِّدون والمسئولون عن أجهزة الإعلام في العالم الإسلامي أظهروا تلك الحركات والدعوات بمظهر الجماعات المتناحرة المؤسَّسة على فكر متباين، حتى جعلوا هذه الحركات تُوجّه أسلحتها بعْضها لبعض، ونسيت أعداءها والأهداف التي أُسِّست من أجلها وجعلت الخلاف في الفرعيات يتحكّم في الأصوليات، بينما هم يعلمون بأن الجزئية لا تَنْقُض الكلية وأن الجزئية مندرجة تحت الكلية، فإذا سَلِمَتْ الكليات لا ضير من الاختلاف في الجزئيات، وأصول الدين الإسلامي واضحة[١].

وعندما رأيت هذه الجماعات التي انبثقت في العصر الحديث وشكّلت الصحوة الإسلامية تتصارع على خلافات جزئية وتوجِّه كل جماعة للجماعة الأخرى اتهامات تصل ببعضها إلى الكفر بهتاناً لأنها اختلفت معها في الاجتهاد: آلمني وشعرت بالخطر على الصحوة الإسلامية، وما كان يؤلمني أكثر من هذا كله احتجاجهم بأحاديث افتراق الأمة حتى صارت كل جماعة تدّعي أنها هي الفِرقة الناجية[٢] وما عداها في النار، محمِّلين رسول الله ﷺ هذا الحكم الجائر لعدم علمهم وسقم فهمهم، بينما هذه الأحاديث تدعو لوحدة المسلمين أهل كلمة التوحيد وتجعل الفُرقة فيمن سواهم. وهذا كله حملني على تصنيف هذه الرسالة وبيان مدلول الأحاديث التي يَتذَرَّع هؤلاء بها للاحتجاج إلى ما يذهبون إليه من أفكار واتجاهات، وقد نهانا الله تعالى ورسوله عن الفُرقة بالأدلة الآتية:

١ ـ ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا

---

(١) انظر مبحث: ما كنت عليه أنا وأصحابي في هذا الكتاب.
(٢) انظر كتاب الفرقة الناجية والطائفة المنصورة للأستاذ محمد بن جميل زينو. وغيره كثير.

عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

٢ - ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[2].

٣ - ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[3].

٤ - ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[4].

٥ - وقول النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام عن جرير بن عبد الله: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» أخرجه الشيخان وأحمد والنسائي وابن ماجه.

٦ - وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا لعن آخرُ هذه الأمة أوّلها، فمن كتم حديثاً فقد كتم ما أنزل الله على محمد» أخرجه ابن ماجه.

٧ - وقال النبي ﷺ: «إذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فَلْيُظْهِرْهُ، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد» أخرجه الخطيب وابن عدي في الكامل وابن عساكر في التاريخ عن جابر رضي الله عنه.

٨ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف» أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه والتاريخ.

---

(١) الآية ١٥٢ من سورة آل عمران.
(٢) الآية ٤٦ من سورة الأنفال.
(٣) الآية ١٣ من سورة الشورى.
(٤) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران.

هذا وأرجو من الله قبولَ هذا العمل وجَعْلَه غَيْرة على شرعه وذَبَّاً عن سنة نبيه ﷺ، ودعوةً لوحدة المسلمين والأخذ بأيديهم إلى الهدي المستقيم على طريق سيد الأولين والآخرين برحمة ربنا رب العالمين ونعم المولى ونعم المعين.

الذين كتبوا في افتراق الأمة من المتقدمين والمتأخرين

عندما وقعت الفتن في القرن الأول بين أصحاب رسول الله ﷺ وأخذت كلٌ جماعة من الجماعات التي تشقَقت لها الأمة الإسلامية تدّعي أنها هي الفرقة الناجية والفرقة التي تحمل لواء الحق وترمي من خالفها بالضلالة والخروج من الإسلام. وعندما انتشرت هذه الفرق في أوساط العامة نصب كلٌ دعاة مذهب وفكرة لهم منبراً يجسِّد أفكارهم ويدحض أفكار الآخرين وأخذ الجميع يقيمون الأدلة النقلية والعقلية على صحة ما ذهبوا إليه وفساد ما ذهب إليه خصمهم. وصارت هذه القضايا جزءاً من قضايا العامة بل صار الكثير يعتبرها هي الدين كله وأن الدفاع عنها مما كتبه الله عليه. وبهذا استحلُّوا دماء بعض فأُزهقت الأرواح ورُمِّلت النساء ويُتِّم الأطفال وهُدِّمت بلدان وقرى[1]، ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ قال فيما رواه أبو موسى وأبو بَكْرة: «إذا التقى المسلمان بسيفَيْهما فقَتَل أحدهما صاحبه، فالقاتل والمقتول في النار، قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه» أخرجه الشيخان وأحمد.

ولا نقول في هذا الصراع الذي حصل بين أُمتنا في الماضي إلا خيراً ونعتذر لهم بقول سيدنا عمر بن عبد العزيز: تلك أُمة سلمت من دمائها سيوفُنا فلتسلم منها ألسنتنا، وقول بعض السلف: (لا تحمِلْ كلمةً من أخيك على محمل الشر وأنت تجد لها وجهاً في الخير). وما قاله أصحاب المصنفات في هذا الموضوع لا نحمله إلا على هذا المحمل ونجعلها من نوادر العلماء كما قال الإمام الأَوْزاعي، فقد

---

(١) انظر تاريخ المذاهب والتاريخ العام في الكتب الآتية:
١ ـ البداية والنهاية: ج ١٤ ص ٧٦.
٢ ـ مرآة الجَنَان: ج ٣ ص ٣٤٣.
٣ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي.
٤ ـ شذرات الذهب: ج ٦ ص ٢٦٠.
٥ ـ رسالة الإنصاف للدهلوي: ص ١٧.

أسند إليه البيهقي في سننه الكبرى ١٠/٢١١ أنه قال: (من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام!). وذكره الذهبي في «السِّيَر» ٧/١٢٥، و «التذكرة» ١/١٨٠.

ونقل الشيخ الكوثري رحمه الله تعالى في تعليقاته على (ذيول تذكرة الحفاظ) ص ١٨٧ عن إبراهيم بن أبي عَبْلَةَ أحد شيوخ الإمام مالك، أنه قال: (مَن تَبعَ شواذَّ العلماء ضلَّ).

ورُوِي عن ثاني الخلفاء الراشدين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (ثلاثٌ مُضِلاَّتٌ: أئمة مضلة، وجدال منافق بالقرآن، وزلَّة عَالِم).

وقال الإمام ابن عبد البَرّ في (الجامع) ٢/١١١: (شَبَّه الحكماءُ زَلّة العالِم بانكسار السفينة، لأنها إذا غرقت غرق معها خلق كثير).

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» ص ٧٠ في شرح حديث «الدين النصيحة»: (من أنواع النصح لله تعالى وكتابه ورسوله ـ وهو مما يختص به العلماء ـ ردُّ الأهواء المُضِلَّة بالكتاب والسنة على مَوْردها، وبيانُ دلالتهما على ما يخالف الأهواء كلِّها، وكذلك رد الأقوال الضعيفة من زلات العلماء، وبيان دلالة الكتاب والسنة على ردها).

فإن قلتَ: فما علامة كون هذا القول زلةً وهفوة؟.

قلتُ: روى البيهقي ١٠/٢١٠ خبراً عن معاذ بن جبل رضي الله عنه وهو من أصدق القول وأحكمه، قال يزيد بن عميرة أحد سادات التابعين ومن خاصة أصحاب معاذ: (كان معاذ يقول كلما جلس مجلس ذكر: الله حكمٌ عدلٌ. فقال يوماً في مجلس جَلَسَه: وراءكم فتن يكثر فيها المال ويُفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق، والحر والعبد، والرجلِ والمرأة، والكبير والصغير، فَيُوشِك قائلٌ أن يقول: فما للناس لا يتَّبعوني وقد قرأتُ القرآن؟ والله ما هم بمتَّبعِيَّ حتى أبتدع لهم غيره! فإياكم وما ابْتُدِع، فإن ما ابتدع ضلالة، واحذروا زَيْفَةَ الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على فم الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق. قال يزيد بن عميرة: قلتُ له: وما يدريني ـ يرحمك الله ـ أن الحكيم يقول كلمة الضلالة، وأن المنافق يقول كلمة الحق؟ قال معاذ: اجتنب من كلام الحكيم المشتبهات التي تقول: ما هذه؟ ولا يُنْثِيَنَّكَ ذلك منه، فإنه لعله أن يراجع ويلقى الحق إذا سمعه، فإن على الحق نوراً).

قال البيهقي: (فأخبر معاذ بن جبل أن زيفة الحكيم لا توجب الإعراض عنه، ولكن يُترك من قوله ما ليس عليه نور، فإن على الحق نوراً، يعني ـ والله أعلم ـ دلالة من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس بعض هذا).

وللإمام ابن القيم رحمه الله تعالى كلام نفيس في هذا الصدد في (إعلام الموقعين) **٣/٣٩٤** فما بعدها، تكلم فيه على لزوم تجنُّب زِلّات العلماء، أنقل منه أوله، فقد شرح فيه المُوَاءَمَةَ بين لزوم طريق الأئمة وتجنُّب ما لا يُؤخذ به من أقوالهم، فقال: (لا بد من أمْرَيْن أحدهما أعظم من الآخر، وهو النصيحة لله ولرسوله ﷺ وكتابه ودينه، وتنزيهه عن الأقوال الباطلة المناقضة لما بَعث الله به رسوله من الهدى والبينات. . .

والثاني: معرفة فضل أئمة الإسلام ومقاديرهم وحقوقهم ومراتبهم، وأن فضلهم وعِلْمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قَبول كل ما قالوه. وما وقع في فتاويهم من المسائل التي خَفِيَ عليهم فيها ما جاء به الرسول ﷺ فقالوا بمبلغ عِلمهم، والحق في خِلَافها: لا يوجب اطِّراحَ أقوالهم جملة، وتنقُّصَهم والوقيعةَ فيهم، فهذان طرفان جائران عن القصد، وقصد السبيل بينهما، فلا نُؤَثِّم ولا نعْصِم. . . بل نسلك مسلكهم أنفسهم فيمن قَبلهم من الصحابة. . . ولا منافاة بين هذين الأمرين لمن شرح الله صدره للإسلام، وإنما يتنافيان عند أحد رجلين: جاهل بمقدار الأئمة وفضلهم، أو جاهل بحقيقة الشريعة التي بَعث الله بها رسوله، ومَن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قَدَمٌ صالحة وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان: قد تكون منه الهفوة والزَّلة هو فيها معذور، بل ومأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتَّبع فيها، ولا يجوز أن تُهْدَر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين).

وبعد أن قدَمنا هذه النصوص من الاعتذارات لأئمة العلم والهداة الذين ذكروا هفوات العلماء وعدم متابعتها إذا لم يكن لها دليل من مصادر التشريع المتفق عليها بين علماء الإسلام، نذكر بعضاً ممن كتب عن الفرق وجعلهم الفِرقة[1] في أمة الإجابة لا أمة الدعوة. ونسوق أسماء بعض من كتبوا في ذلك في القرون الأولى

---

(١) وذلك من غير دليل لا من كتاب ولا سنة، وسيتضح ذلك في ثنايا البحث.

وننقل كلام ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» في الفِرَق التي افترق المسلمون عليها من غير دليل وجعلها من أُمة النار، ثم نذكر أسماء من كتب في القرون الأخيرة عن الفرق، كما نسوق قول العزيزي صاحب شرح الجامع الصغير، ومن كَتَب في ذلك من أهل الفرق والتفاسير والمذاهب تابعو هؤلاء فيما قالوه ما بين بسط واختصار.

وأول من كتب في الفِرَق الإمام أبو الحسن الأشعري ـ المتوفّى عام ٣٢٤ هـ ـ في كتابه «مقالات الإسلاميين»، ثم تابعه عبد القاهر بن طاهر البغدادي ـ المتوفى عام ٤٢٩ هـ ـ في كتابه «الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفِرْقة الناجية منهم»، ثم كتب ابن حزم الأندلسي الظاهري ـ المتوفى عام ٤٥٦ هـ ـ كتابه «الفِصَل في الملل والأهواء والنحل» ، وجاء على إثرهم محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني ـ المتوفى عام ٥٤٨ هـ ـ في كتابه «الملل والنحل» ، ثم جاء جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي في تقسيمه للفرق في أمة الإجابة في كتابه «تلبيس إبليس» وهو من وفيات عام ٥٩٧ هـ ، واخترنا قوله في عدّ الفِرَق التي جعلها في النار من أمة الإجابة، حيث ذكر في صفحة ١٩ بعد أن ذكر الأحاديث الواردة في افتراق الأمة(١)، حيث قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: فإن قيل: وهل هذه الفرق مصروفة؟ فالجواب: إنا نعرف الافتراق وأصول الفِرَق وأنّ كل طائفة من الفرق قد انقسمت إلى فرق وإن لم نحط بأسماء تلك الفرق ومذاهبها، وقد ظهر لنا من أصول الفِرَق: الحَرُورية، والقدرية، والجهمية، والمرجئة، والرافضة، والجبرية.

وقد قال بعض أهل العلم: أصل الفرق الضالة هذه الفرق الست، وقد انقسمت كل فرقة منها على اثنتي عَشْرة فرقة، فصارت اثنتين وسبعين فرقة.

وانقسمت **الحرورية** اثنتي عشرة فرقة: فأولهم الأزرقية، قالوا: لا نعلم أحداً مؤمناً وكفّروا أهل القبلة إلا من دان بقولهم. والإباضية قالوا: من أخذ بقولنا فهو مؤمن، ومن أعرض عنه فهو منافق. والثعلبية قالوا: إن الله لم يقض ولم يقدر. والحازمية قالوا: ما ندري ما الإيمان، والخلق كلهم معذورون. والخلفية زعموا أن من ترك الجهاد من ذكر وأنثى فقد كفر. والمكرمية قالوا: ليس لأحد أن يمس أحداً لأنه لا يعرف الطاهر من النجس، ولا أن يؤاكله حتى يتوب ويغتسل. والكنزية

---

(١) سترد في المبحث الذي يلي هذا البحث.

قالوا: لا ينبغي لأحد أن يعطي ماله أحداً لأنه ربما لم يكن مستحقاً بل يكنزه في الأرض حتى يظهر أهل الحق. والشمراخية قالوا: لا بأس بمسّ النساء الأجانب لأنهن رياحين. والأخنسية قالوا: لا يلحق الميت بعد موته خير ولا شر. والمحكمية قالوا: إن من حاكم إلى مخلوق فهو كافر. والمعتزلة من الحرورية قالوا: اشتبه علينا أمر عليّ ومعاوية فنحن نتبرأ من الفريقين. والميمونية قالوا: لا إمام إلا برضا أهل محبتنا.

وانقسمت **القدرية**[١] اثنتي عشرة فرقة: الأحمرية وهي التي زعمت أن شرط العدل من الله أن يملك عباده أمورهم ويحول بينهم وبين معاصيهم. والثنوية: وهي التي زعمت أن الخير من الله والشر من إبليس. والمعتزلة هم الذين قالوا بخلق القرآن وجحدوا الرؤية. والكيسانية: هم الذين قالوا لا ندري هذه الأفعال من الله أم من العباد ولا نعلم أيُثاب الناس بعد الموت أو يعاقبون. والشيطانية قالوا: إن الله لم يخلق شيطاناً. والشريكية قالوا: إن السيئات كلّها مقدرة إلا الكفر. والوهمية قالوا: ليس لأفعال الخلق وكلامهم ذات ولا للحسنة والسيئة ذات. والراوندية قالوا: كل كتاب أُنزل من الله فالعمل به حق ناسخاً كان أو منسوخاً. والبترية: زعموا أن من عصى ثم تاب لم تُقبل توبته. والناكثية: زعموا أن من نكث بيعة رسول الله ﷺ فلا إثم عليه. والقاسطية فضّلوا طلب الدنيا على الزهد فيها. والنَّظَّامية تبعوا إبراهيم النَّظَّام في قوله من زعم أن الله شيء فهو كافر.

وانقسمت **الجهمية** اثنتي عشرة فرقة، المعطلة[٢]: زعموا أن كل ما يقع عليه وَهْم الإنسان فهو مخلوق، ومن ادعى أن الله يُرى فهو كافر. والمريسية قالوا: أكثر صفات الله مخلوقة. والملتزقة جعلوا: الباري سبحانه وتعالى في كل مكان. والواردية قالوا: لا يدخل النار من عرف ربَّه ومن دخلها لم يخرج منها أبداً. الزنادقة[٣] قالوا: ليس لأحد أن يثبت لنفسه ربّاً لأن الإثبات لا يكون إلا بعد إدراك الحواس وما يُدرك فليس بإله وما لا يُدرك لا يثبت. والحرقية زعموا: أن الكافر[٤]

---

(١) هم ملة ليسوا من الإسلام بالنص. انظر مبحث النار.

(٢) ليسوا مسلمين بالنص. انظر مبحث النار.

(٣) انظر مبحث الزنادقة من هذا الكتاب.

(٤) هؤلاء ينكرون ما كان من الدين بالضرورة وهو نكران حكم قرآني لقوله تعالى: ﴿كلما نَضِجَت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب. . .﴾ الآية ٥٦ من سورة النساء.

تحرقه النار مرة واحدة ثم يبقى محترقاً أبداً لا يجد حرَّ النار. والمخلوقية زعموا: أن القرآن مخلوق. والفانية زعموا: أن الجنة والنار تفنيان، منهم من قال إنهما لم تخلقا. والمغيرية: جحدوا الرسل فقالوا إنما هم حكام. والواقفية قالوا: لا نقول إن القرآن مخلوق ولا غير مخلوق. والقبرية: ينكرون عذاب القبر والشفاعة. واللفظية قالوا: لفظنا بالقرآن مخلوق.

وانقسمت **المرجئة** اثنتي عشرة فرقة، التاركية قالوا: ليس لله عزّ وجلّ على خلقه فريضة سوى الإيمان به، فمن آمن به وعرفه فليفعل ما شاء. والسائبية قالوا: إن الله تعالى سيَّب خلقه ليعملوا ما شاءوا. والراجية قالوا: لا نسمِّي الطائع طائعاً ولا العاصي عاصياً لأنا لا ندري ماله عند الله. والشاكية قالوا: إن الطاعات ليست من الايمان. والبيهسية قالوا: الإيمان علم ومن لا يعلم الحق من الباطل والحلال من الحرام فهو كافر. والمنقوصية قالوا: الإيمان لا يزيد ولا ينقص. والمستثنية نفَوْا الاستثناء في الإيمان. والمشبهة يقولون: لله بصر كبصري ويد كيدي. والحشوية جعلوا حكم الأحاديث كلِّها واحداً فعندهم أنّ تارك النفل كتارك الفرض. والظاهرية وهم الذين نفَوْا القياس. والبدعية أول من ابتدع الأحداث في هذه الأمة[1].

وانقسمت **الرَّافضة** اثنتي عشرة فرقة: العلوية قالوا: إن الرسالة كانت إلى علي وإن جبريل أخطأ. والأمرية قالوا: إن علياً شريك محمد ﷺ في أمره. والشيعة قالوا: إن عليّاً رضي الله عنه وصيُّ رسول الله ﷺ ووليُّه من بعده وإن الأمة كفرت بمبايعة غيره. والإسحاقية قالوا: إن النبوة متصلة إلى يوم القيامة وكل من يعلم علم أهل البيت فهو نبي. والناووسية قالوا: إن علياً أفضل الأمة فمن فضّل غيره عليه فقد كفر. والإمامية قالوا: لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين وإن الإمام يعلمه جبرائيل، فإذا مات بدل مكانه مثله. واليزيدية قالوا: إن ولد الحسين كلَّهم أئمة في الصلوات فمتى وُجد منهم أحد لم تجز الصلاة خلف غيره بَرِّهم وفاجِرِهم. والعباسية زعموا: أن العباس كان أَوْلى بالخلافة من غيره. والمتناسخة قالوا: إن الأرواح تتناسخ فمن كان محسناً خرجت روحه فدخلت في خلق تسعد بعيشه ومن كان مسيئاً دخلت روحه في خلق تشقى بعيشه. والرجعية زعموا أن علياً وأصحابه يرجعون إلى الدنيا وينتقمون من أعدائهم. واللاعنية الذين يلعنون عثمان وطلحة

(١) هؤلاء جميعاً أقوالهم تخالف القرآن.

والزبير ومعاوية وأبا موسى وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم. والمتربصة تشبهوا بزيّ النُّسّاك ونصبوا في كل عصر رجلاً ينسبون الأمر إليه، يزعمون أنه مهديّ هذه الأمة فإذا مات نصبوا رجلاً آخر.

وانقسمت **الجبرية** اثنتي عشرة فرقة فمنهم: المضطّرية قالوا: لا فعل للآدمي بل الله عزّ وجلّ يفعل الكل. والأفعالية قالوا: لنا أفعال ولكن لا استطاعة لنا فيها وإنما نحن كالبهائم نُقاد بالحبل. والمفروغية قالوا: كل الأشياء قد خُلقت والآن لا يُخلق شيء. والنجارية زعمت أن الله يعذّب الناس على فعله لا على فعلهم. والمتانية قالوا: عليك بما خطر بقلبك فافعل ما توسّمت به الخير. والكسبية قالوا: لا يكسب العبد ثواباً ولا عقاباً. والسابقية قالوا: من شاء فليعمل ومن شاء لا يعمل فإن السعيد لا تضرّه ذنوبه والشقيّ لا ينفعه برّه. والحبية قالوا: من شرب كأس محبّة الله عزّ وجلّ سقطت عنه الأركان والقيام بها. والخوفية قالوا: إن من أحب الله سبحانه وتعالى لم يسعه أن يخافه لأن الحبيب لا يخاف حبيبه. والفكرية قالوا: إن من ازداد علماً سقط عنه بقدر ذلك من العبادة. والخسية قالوا: الدنيا بين العباد سواء لا تفاضل بينهم فيما ورثهم أبوهم آدم. والمعية قالوا: منّا الفعل ولنا الاستطاعة. انتهى.

ثم نذكر قول دار الطباعة المنيرية التي علّقت على كتاب «تلبيس إبليس» فيما نقلناه، حيث قالت: ليس هناك دليل شرعي يفيد ذلك ولا دَلَّ العقل على انحصار ما ذُكر في ذلك العدد من غير زيادة ولا نقصان، وبذلك تعلم ما في كلام المُصنف من المخالفة لغيره في عدّ الفرق وتسميتها بأسماء لم توجد في كتاب.

وأما من كتب في القرون المتأخرة في افتراق أمة الإجابة متابعين للسابقين من غير تروٍّ، أعداد كثيرة نختار منهم:

١ ـ علي بن نور الدين العزيزي، صاحب كتاب «السراج المنير» شرح الجامع الصغير للسيوطي، المتوفى عام ١٠٧٠ هـ، وكذا العلامة الشيخ الحفني المضاف شرحه مع شرح العزيزي في السراج المنير شرح الجامع الصغير.

٢ ـ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري في كتابه «تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي» المتوفًى ١٣٥٣ هـ.

ونسوق لك ما قاله العزيزي في كتابه «السراج المنير»(١) حيث قال: (قوله:

(١) ١/٢٥٦.

على ثلاث وسبعين فرقة) وكلها في النار إلا أهل السنة والجماعة. ا. هـ. بخط الشيخ عبد البر (قوله على ثلاث وسبعين فرقة) ولا نحيط بتفصيلها فالمذكور في التوحيد ست عقائد منها عقيدة الجبرية والقدرية والحرورية والجهمية والمرجئة والرافضة، وكل واحدة تفرع عنها اثنا عشر تفاصيلها معلومة عندهم، قال العزيزي وقال ابن رسلان: قيل إن تفصيلها عشرون منهم روافض وعشرون خوارج وعشرون قدرية وسبعة مرجئة وفرقة نجادية وهم أكثر من عشر فرق ولكن يُعَدّون واحدة وفرقة ضرارية وفرقة جهمية وثلاث فرق كرامية فهذه ثنتان وسبعون فرقة.

وظهرت في هذا العصر أقلام عديدة مشبوهة تريد إذكاء الخلاف بين الجماعات والمذاهب الإسلامية حتى أرادت أن تجعلها تتناحر وتوجّه أسلحتها إلى صدور بعض وتترك أعداء الإسلام يثبون على الجميع. فصدر في هذا المجال عديد من الكتب لا تحصى ولا تُعَدّ، منها ما ينبش الماضي ومنها ما يكفّر مَن سواه من الجماعات والمذاهب فليتق الله أصحاب هذه الأقلام في أمتهم ولا يبيعوا عقيدتهم بثمن بخس بل يطوِّعون أقلامهم لوحدة المسلمين وتآخيهم بدلاً مما هم فيه من مكر لهذه الأمة ، والله ورسوله دعانا لوحدة المسلمين في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1] وقول النبيّ عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً» أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي، وقوله ﷺ: «مَثَل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى» أخرجه الشيخان وأحمد.

وإن هذه الفِرَق التي ذكرها المصنفون قد اندثرت بل كثيرٌ منها لا أصل لها، ولم يبق في هذه الأرض إلا الحق. والحق هنا كلام الله وسنة رسوله، وقد سَنَّ الله لنا قانوناً ثابتاً لا يتغير ولا يتبدل حيث قال في محكم التنزيل : ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[2]. فعلينا أن نتمسَّك بكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ وأن نعضّ عليهما بالنواجذ ولا نرضى بهما بديلاً، الله سيعصمنا ويأخذ بنواصينا إلى الخير والحق.

* * *

---

(١) الآية ٩٢ من سورة الأنبياء.

(٢) الآية ١٧ من سوة الرعد.

الأحاديث الواردة في افتراق الأمة

أوردنا في هذا المبحث الأحاديث الواردة في افتراق الأمة ووضَعْناها على الترتيب الآتي:

١ ـ ما رواه الترمذي.
٢ ـ ما رواه أبو داود.
٣ ـ ما رواه ابن ماجه.
٤ ـ ما رواه أحمد.
٥ ـ ثم أتبعنا ذلك بروايات من غيرهم من كتب الأحاديث الأخرى كحديث ابن النجار ومسند الفردوس ومسند أبي يعلى، وأوردنا ما رواه أهل السنن وأحمد وأسانيد كلِّ حديث حتى يتبيّن للمطَّلع مكانة هذا الحديث، والحديث كما لا يخفى مكوَّن من متْن وسند. وأما فيما عدا هذه الأحاديث فاكتفينا بقول المصحِّحين لها لغرض الاختصار والوصول إلى النتيجة المطلوبة بأيسر السبل.

وهذه الأحاديث صحيحة كما تراها وإن كان في بعضها شيء من الضعف عند بعض العلماء فإلحاقها بالصحيح يقويها.

ويجد القارىء في هذا البحث بياناً لكل جزئية من جزئيات هذه الأحاديث توضح المقصود من بيان افتراق الأمة بأن الفُرقة في أمة الدعوة لا أمة الإجابة، وأن هذه الأحاديث تدعو لوحدة أمة التوحيد لا فرقتها كما يظن البعض، ويفسرون هذه الأحاديث بغير مقتضاها.

ـ ١ ـ
أحاديث سنن الترمذي

١ ـ أخرج الترمذي في سننه في باب الإيمان قال: حدثنا الحسين بن حريث أبو عمار، حدثنا الفضل بن موسى، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي

هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

٢ ـ أخرج الترمذي قال: حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا أبو داود الحَفَري، عن سفيان الثوري، عن عبد الرحمن بن زياد الأفريقي، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتِيَنَّ على أُمتي ما أتى على بني إسرائيل[1] تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وتفترق أُمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة» قالوا: ماهي يا رسول الله؟ قال: «ما عليه أنا وأصحابي» قال أبو عيسى: هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه.

٣ ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتِيَنَّ على أُمتي ما أتى على بني إسرائيل حَذْوَ النعل بالنعل، حتى إنْ كان منهم من أتى أُمَّه علانيةً لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرّقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما عليه أنا وأصحابي» قال الترمذي: حديث حسن غريب لا يُعرف إلا من هذا الوجه.

ـ ٢ ـ

حديثا سنن أبي داود

٤ ـ أخرج أبو داود قال: حدثنا أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى، قال: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا بقية، قال: حدثنا صفوان نحوه، قال: حدثني أزهر بن عبد الله الحرازي، عن أبي عامر الهوازني، عن معاوية بن أبي سفيان أنه قام فينا فقال: ألا إن رسول الله قام فينا فقال: «ألا إنّ مَن قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة».

٥ ـ وأخرج أبو داود في باب السنّة قال: حدثنا وهب بن بقية، عن خالد، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

(١) بنو إسرائيل يشملون اليهود والنصارى.

رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفترق النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة».

تعليق: وروى هذه الأحاديث ابن أبي الدنيا عن عوف بن مالك وأبو داود والترمذي كما ترى وكذا الحاكم وصححه على شرط مسلم وابن حبان وصححه. انظر «كشف الخفاء» ١٦٩/١.

-٣-
أحاديث سنن ابن ماجه

٦ ـ روى ابن ماجه في باب الفتن قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن بشر، حدثنا محمد بن عمر، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة».

٧ ـ وروى ابن ماجه قال: حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي، حدثنا عباد بن يوسف، حدثنا صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد، عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة واحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفتَرِقَنّ أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار» قيل يا رسول الله من هم؟ قال: «الجماعة».

٨ ـ وروى ابن ماجه، قال: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن أُمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة».

- ٤ -
أحاديث مسند أحمد

٩ ـ قال الإمام القطيعي: حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا وكيع، حدثنا عبد العزيز يعني الماجشون، عن صدقة بن يسار، عن العميري، عن أنس بن مالك

قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل قد افترقت على ثنتين وسبعين فرقة وأنتم تفترقون على مثلها كلها في النار إلا فرقة».

١٠ ـ وقال: حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال: «إن بني إسرائيل تفرّقت إحدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة فتهلك إحدى وسبعون وتخلص فرقة» قالوا: يا رسول الله، من تلك الفرقة؟ قال: «الجماعة».

١١ ـ حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا محمد بن بشر، حدثنا محمد بن عمرو، حدثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة».

وذكر الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي في كتابه «الفتح الرباني» صحة هذه الأحاديث وقال إن لها شواهد عديدة، وهي المذكورة في هذا المبحث.

ـ ٥ ـ
حديثا ابن النجار

١٢ ـ وصححه الحاكم بلفظ غريب وهو: «سفترق أمتي على نيّف وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا واحدة» وفي رواية عن الديلمي: «الهالك منها واحدة» قال العلماء: هي الزنادقة. انظر كشف الخفاء.

١٣ ـ وذُكر بهامش الميزان عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ بلفظ: «تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة، كلها في الجنة إلا واحدة وهي الزنادقة» وفي رواية عنه أيضاً «تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة إني أعلم أهداها، الجماعة». وبهامش الميزان كما ذكره إسماعيل العجلوني في كشف الخفاء بأنه مذكور في تخريج أحاديث مسند الفردوس للحافظ ابن حجر بلفظ:

١٤ ـ «تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا واحدة وهي الزنادقة» أسنده عن أنس قال: أخرجه أبو يعلى.

١٥ ـ ومن وجه آخر عن أنس بلفظ: «أهداها فِرقة الجماعة». أخرجه أبو يعلى.

وفي الباب أحاديث لعبد الله بن عباس وسعد بن أبي وقاص وأبي الدرداء وواثلة وأبي أمامة.

وشهد لهذه الأحاديث، حديث البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله ومن أبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى».

تنبيه:
الجمع بين الروايات السابقة

قد يحدث إشكال عند البعض في اختلاف منطوق الأحاديث الواردة في الباب، حيث ورد في أحاديث الترمذي وأبي داود وابن ماجه وأحمد التعدد في أمة الدعوة وورد في ما رواه ابن النجار ومسند الفردوس ومسند أبي يعلى التعدد في أمة الإجابة. وإيضاح ذلك لإزالة الإشكال بأن الأمة تنقسم إلى قسمين: أمة إجابة وأمة دعوة، والكفر كما ورد ملة واحدة والإسلام ملة واحدة. فإذا ورد التعدد في الفريقين فكان المقصود الغاية. والغاية: من هم أهل الجنة؟ ومن أهل النار؟ فمن كان على كلمة التوحيد كما ستجده في البحث فهم أهل الجنة، ومن كان خلاف ذلك فهم أهل النار، ومصير البشرية جمعاء جنة أو نار. انتهى.

ولا بد لمعرفة هذه الأحاديث وما تضمنته من مفاهيم بمقتضى منطوقها ومقتضى الأدلة الثابتة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، من معرفة جزئيات هذه الأحاديث. ولهذا أفردنا لكل جزئية مبحثاً يوضحها ويبين مقصود الشارع منه. وجزئياتها هي:

١ ـ اليهود أو بنو إسرائيل.
٢ ـ السبعون فرقة.
٣ ـ النصارى.
٤ ـ الأمة (أمتي).
٥ ـ الملة.

٦ ـ ما أنا عليه وأصحابي.

٧ ـ النار.

٨ ـ الجنة.

٩ ـ الجماعة.

١٠ ـ الزنادقة.

وقد يتفرع بعض هذه المباحث إلى عدة فروع، نسأل الله أن يسدد مقالنا ويجعله لوجهه الكريم، وينفع به كل من قرأه ويهديه إلى طريق الحق.

* * *

المبحث الأول

بنو إسرائيل أو اليهود

إسرائيل في اللغة معناها عبد الله وهو اسم ليعقوب واليهود نسبة لرهط في بني إسرائيل، وقيل: هودا أي يهودا جمع هائد: التائب الراجع، مشتق من هاد إذا تاب.

وإسرائيل لقب ليعقوب بن إسحاق أي عبد الله، واليهود في هذا الحديث هم الذين يدّعون بأنهم أتباع نبي الله موسى عليه السلام ومشَوْا على شرعته ولم يأت نبي الله موسى إلا بعد عديد من الرسل من بني إسرائيل دعَوْهم إلى عبادة الله وإلى دعوة الإسلام التي دعا بها أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم، ولكنّ بني إسرائيل حرّفوا تلك الأديان وجعلوها من الكثرة حتى لا تقع تحت حصر وما زالوا على هذه الطبيعة من بث أنفاسهم السامة إلى يومنا هذا. فإذا ألقيتَ نظرة إلى ما يبتكرونه من عقائد ونحل ضالة كدعوة الشيوعية لليهودي كارل ماركس، ودعوة دارون في نظرية النشوء والارتقاء التي استغلها اليهود، ودعوة فُرويد في عزوه جميع تصرفات الإنسان إلى الشهوة الجنسية، وكذا أفكارهم من خلال الدعوة الماسونية والعلمانية.

وصدق الله سبحانه وتعالى الذي وصفهم بمحاربتهم لله تعالى ومحاولتهم لإطفاء نور الإيمان في الأرض حيث قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1] وعندما أتى سيدنا موسى وجد نحلاً عديدة من عبدة الأوثان والأصنام والنجوم والإنسان والجان والنار وأصحاب الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية[2]، فجاء سيدنا موسى برسالة

---

(١) الآية ٣٢ من سورة التوبة.

(٢) انظر كتب الملل والنحل، وتلبيس إبليس لابن الجوزي، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ لأبي الحسن الندوي.

التوراة التي أُنزلت عليه من رب العزة وفيها هداية البشرية وتدعوهم إلى الإسلام وتوحيد الله والاعتصام بحبله. ولكن ما إن فارقهم سيدنا موسى لمناجاة ربه حتى انقسموا عليه وتابعوا السامِريّ الذي صنع لهم العجل ليعبدوه وتنكّروا لكل النعم التي امتنّ الله بها عليهم من نجاتهم من فرعون وعبورهم البحر وإطعامهم المَنّ والسلوى وتفضيلِهم على العالمين وغيرها من أشكال المنّ، وواجهوا سيدنا موسى بالكفر فخاطبهم الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل في قوله ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾[1]. وما إن توفي موسى نبيُّ الله حتى عكف أحبار اليهود على تحريف التوراة ، ووصف الله تعالى في القرآن الكريم فِعْلَتهم هذه في قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[2]، وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3]. ولغريزة الخبث الذي فيهم كفروا بهذه الأنعم وارتدوا عن عبادة الله ، فأرسل لهم الله سبحانه سيدنا عيسى ابنَ مريم عليه السلام الذي أضاف للإحدى وسبعين فرقة فرقة أخرى وهي فرقة النصارى من بني إسرائيل وهؤلاء اليهود عرّضوا هذا النبي وأتباعه من النصارى للأذى حتى زعموا بأنهم قتلوه وصلبوه وكذبوا حيث قال الله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ

---

(١) الآية ٨ من سورة إبراهيم.

(٢) الآية ٤٦ من سورة النساء.

(٣) الآية ٤١ من سورة المائدة.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾[1] . وقد وصفهم الله بكثرة جرائمهم من قتلهم الأنبياء حيث قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[2] . وعندما بَشّر سيدنا عيسى بني إسرائيل بنبوة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام طمعت بنو إسرائيل أن يكون هذا النبيُّ منها، فلما أتى نبينا محمد من بني إسماعيل كادوا له ومكروا وكفروا به مع علمهم بانطباق صفات النبوة عليه في كتبهم التي بين أيديهم، ولهذا أغلظ الله سبحانه وتعالى عليهم ورسولُه الوعيدَ الشديد بالنار والخلود فيها لأنهم يعرفونه ويعرفون دينه كما يعرفون أبناءهم.

ولهذا فإن النبيّ سيدنا محمداً ﷺ حذر أمة الإسلام من اتِّباعهم لأفكارهم وجعل الله سبحانه وتعالى في فاتحة الكتاب التي نتلوها كلَّ يوم في صلاتنا مرات عديدة عند قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا[3] ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ[4] وَلَا ٱلضَّآلِّينَ[5]﴾. ويوضح ذلك الحديث[6] الذي رواه عَديّ بن حاتم أنه قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فقال: «هم اليهود»، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقال: «النصارى» لأنهم علموا الحق وأعرضوا عنه.

وهؤلاء اليهود من أهل النار، خالدون فيها لعلمهم بنبوة نبينا محمد ﷺ وبالإسلام وإعراضهم عن الإيمان به بل معاداته والكيد له وللإسلام. ويُثبت ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام الذي رواه أبو هريرة وهو: «والذي نفسُ محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار» أخرجه مسلم وأحمد.

* * *

(١) الآية ١٥٧ من سورة النساء.

(٢) الآية ١١٢ من سورة آل عمران.

(٣) أي نحن المسلمين.

(٤) وهم اليهود.

(٥) وهم النصارى.

(٦) أخرجه أحمد والترمذي.

المبحث الثاني
السبعون فرقة

منذ أن برأ الله الخليقة على هذه الأرض أرفقها بدعوة الحق، ودعوة الحق هي دعوة الإسلام فقد أرسل على مرّ الأوقات والدهور أنبياء يدعون إلى عبادة الله والهدي لطريقه، ولكنّ البشرية كلما أتاها نبيٌّ من الأنبياء وأقامها على الجادة انحرفت بعد وفاة هذا النبي المرسل من الله. وقد ذكرنا الاستدلال على ذلك في المبحث السادس تحت عنوان ـ ما أنا عليه وأصحابي ـ. والعدد (٧٠) في هذا الحديث أي قول النبي ﷺ: «افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة» هو للكثْرَة لا للتحديد وتَستعمل ذلك العرب في كثير من المواضع لغرض التكثير لا التحديد، انظر في ذلك كلامَ المفسرين عند قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[١].

ولا يكون العدد مقصوداً إلا إذا قُيِّد، وأوضح ذلك ابن كثير في تفسيره حيث قال ما نصه: «وقد قيل إن السبعين إنما ذُكرت حسماً لمادة الاستغفار لهم لأن العرب في أساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغة كلامها ولا تريد التحديد بها ولا أن يكون ما زاد عليها بخلافها». وقال الزمخشري: «السبعون جرى مجرى المثل في كلامهم للتكثير»[٢]. ويشهد لذلك ما ورد في محكم التنزيل في الآية المذكورة أعلاه، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾[٣]، وقوله

(١) الآية ٨٠ من سورة التوبة.

(٢) كقول الإمام عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه:

لأصبحن العاص وابن العاصي ... سبعين ألفاً عاقدي النواصي

(٣) الآية ٣٢ من سورة الحاقّة.

تعالى للكثرة: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[1]. والسبل الضالة غير محصورة والحق واحد. ومن السنّة المطهرة قول النبي عليه وآله الصلاة والسلام: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي، وقوله عليه الصلاة والسلام عن أبي هريرة، حيث قال: قال النبي ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان» أخرجه البخاري.

وإن من المعلوم أن شُعَبَ الإيمان تُعَدّ بالمئات إذا لم تكن بالآلاف[2]. وذُكر العدد لكثرتها لا لتحديدها كما تراه في الحديثين: في حديث: بضع وسبعون، وفي حديث: بضع وستون. وهذه دلالة بينة على عدم قصد العدد.

ومن السنة أيضاً قول النبي عليه الصلاة والسلام: «أنتم توفون سبعين أمة» أخرجه أحمد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة» رواه البخاري، وفي رواية: مائة مرة. ويُستدل من هذا بأن العدد ليس مقصوداً لوروده مرة بسبعين ومرة بمائة، ولأنّ النبي ﷺ لا يستغفر الله سبعين أو مائة في اليوم والليلة بل مئات المرات. وذِكْر السبعين هنا للكثرة بحسب أسلوب العرب وليس هناك قيد يفيد تحديد العدد.

وقال رسول الله ﷺ: «الربا نيف وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمّه» أخرجه ابن ماجه.

والربا ـ كما لا يخفى ـ أبوابه متعددة، وعدّد أنواعه العلماء إلى مئات من الأصناف، ويتضح ذلك من سياق الحديث نفسه، ومن قول أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وددت لو أن رسول الله أوضح لنا ثلاث مسائل ومنها أصناف الربا لأنها لا تقع تحت حصر.

---

(١) الآية ١٥٣ من سورة الأنعام.

(٢) انظر في ذلك كتب شُعَب الإيمان للبيهقي وغيره.

وذكر ابن كثير في تفسيره عن المنهال بن عمرو قال: إذا قال الله تعالى: خذوه، ابتدره سبعون ألف ملك، إن الملك منهم ليقول هكذا، ويُلقي سبعين ألفاً في النار (رواه ابن أبي حاتم).

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري: (وقيل ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد، بل المراد التسهيل والتيسير، ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد، كما يطلق لفظ السبعين في العشرات، والسبعمائة في المئين، ولا يراد العدد المعيَّن) انظر فتح الباري ٨/٦٤٠.

ومعنى قول النبي افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة أي كانت البشرية تَعُجُّ بعديد من الفرق والنحل حتى أتى سيدنا موسى فزاد ملة وهي أمة الإجابة الذين أجابوا دعوة التوحيد التي أتى بها سيدنا موسى، ويظهر لك كثرة النحل من قبل ديانة سيدنا موسى في كتب الملل والنحل ومنها كتاب الشهرستاني وكتاب أبي الحسن الندوي «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»، فقد ذكر مئات من النحل والملل في كتابه من بين عُبَّاد للأوثان وللإنسان والنجوم والجان والنار والأرواح والحيوان والعقول العشرة عند اليونانيين وغيرها من هذه الملل والنحل التي أُحصيت والتي لم تذكر في المدونات، إما للجهل بها أو لقلة أَتْبَاعِها، وهؤلاء جميعاً من أمة الدعوة ودخل بينهم بعد بعثة نبينا محمد ﷺ أهل الكتاب اليهود والنصارى بعد أن حرّفوا دينهم وجعلوا العبادة لغير الله بالشرك أو الوثنية بأن جعل اليهود عُزَيْراً ابنَ الله وعبدوا العجل وجعل النصارى عيسى ابن مريم ابن الله وقالوا بالأقانيم الثلاثة وعبدوا الصليب.

* * *

المبحث الثالث

افتراق النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة

النصارى اسم لملة يعتنقها اليوم قرابة ألف مليون نسمة في أنحاء الأرض، وسُمِّيت هذه الملة بالنصرانية عندما بعث الله تعالى رسوله المسيح عيسى ابن مريم إلى بني إسرائيل حيث قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[1].

١ ـ وجاءهم عيسى ابن مريم بدعوة الحق وهي الإسلام حيث قال الله تعالى في محكم التنزيل على لسان الحواريين: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[2].

٢ ـ واختلفوا في عيسى عليه السلام فمنهم من جعله هو الله ومنهم من جعله ابن الله، وأجاب القرآن الكريم عن مزاعمهم الظالمة في عديد من الآيات منها سورة الإخلاص.

٣ ـ فقد ردّ الله سبحانه وتعالى عليهم في محكم التنزيل بقوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا * بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[3].

---

(١) الآية ٦ من سورة الصف.

(٢) الآية ١١١ من سورة المائدة.

(٣) الآيتان ١٥٧، ١٥٨ من سورة النساء.

ويوضح ذلك سبب نزول سورة آل عمران التي نزلت بعض آياتها على إثر النقاش الذي وقع بين الرسول ﷺ ونصارى نجران فقال لهما رسول الله ﷺ: أسلما، فقالا: قد أسلمنا قبلك، قال كذبتما منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير، قالا: إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه؟ وخاصموه جميعاً في عيسى، فقال لهما النبي ﷺ: ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه؟ قالوا: بلى، قال ألستم تعلمون أن ربَّنا حي لا يموت وأن عيسى أتى عليه الفناء؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أن ربنا قيِّم على كل شيء يحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى، قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فإن ربنا صوّر عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث، قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أن عيسى حَمَلته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غُذِّي كما يُغذَّى الصبيّ ثم كان يطعم ويشرب ويحدث؟ قالوا: بلى، قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟! فسكتوا فأنزل الله عز وجل فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضعة وثمانين آية[١].

ولما انحرفت بنو إسرائيل عن دين نبي الله موسى، نادى فيهم رسول الله عيسى ابن مريم قائلاً: مَن أنصاري إلى الله؟ قال الحواريون: نحن أنصار الله، فبهذا أضافوا الفرقة الثانية والسبعين وهي فرقة الإجابة من أمة سيدنا عيسى. وبعد أن رُفع سيدنا عيسى ابن مريم حَرَّف النصارى في دينهم وأدخل عليهم بولس[٢] وغيره تعاليم وثنية حيث جعل قاعدة العقيدة النصرانية التثليث بدلاً من توحيد الله سبحانه وتعالى، وقالوا بالأقانيم الثلاثة باسم الأب والابن والروح القدس وجعلوا في صلب العقيدة النصرانية الإيمان بالصَّلب والفداء. وكلا الأمرين لم يأت بهما رسول الله عيسى ابن مريم بل جاء بهما بولس بعد نصف قرن من رفع المسيح عليه السلام، وأدخلوا في كتب الأناجيل السبعين[٣] عديداً من الافتراءات على الله وعلى رسوله سيدنا عيسى ابن مريم، ومَحَوْا الكثير من آيات الله التي وردت في الإنجيل.

---

(١) انظر أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري: ص ٦٨.

(٢) بولس يهودي عاش حوالي ٦٤ عام ميلادي تقريباً. تقمّص النصرانية وأدخل عليها التحريفات وكان اسمه شاول وكان يعذّب النصارى، وفي قصة أسطورية اعتنق النصرانية وأدخل عليها التحريف والعقائد الوثنية.

(٣) ارجع إلى مناظرة الشيخ أحمد ديدات مع القس جيمس وَكَتْ.

وقد بيّن لنا الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل هذا التحريف الذي فعله هؤلاء القدّيسون كما يسمونهم حيث قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[1] . وأَدْخَل اليوم هؤلاء النصارى في أذهان المسلمين المعاصرين الذين تربَّوْا في جامعاتهم وتأثروا بأفكارهم بأنهم أتباع المسيح ابن مريم حيث أطلقوا على أنفسهم مسيحيين وغزت هذه التسمية حتى وسائل المعرفة المكتوبة والمسموعة والمرئية بينما بَيَّنَ الله ورسوله في كتابه العزيز والسنة المطهرة نفي نسبتهم إلى المسيح ولم ترد في القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية أيُّ صلة لهم بالمسيح بل سُمُّوا نصارى. ومن أراد معرفة هذه الملة بتفسير أوسع فعليه بالرجوع إلى الكتب الآتية:

١ ـ الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية.
٢ ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم.
٣ ـ دائرة معارف القرن الرابع عشر للأستاذ محمد فريد وجدي.
٤ ـ محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة.
٥ ـ صور من عقائد أهل الأرض تأليفات مع توفيق محمود المحامي.
٦ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ لأبي الحسن النَّدْوي.
٧ ـ تحفة الأريب في الردّ على أهل الصليب للقس أنسلم تورميدا الشهير بعبد الله ترجمان الأندلس.
٨ ـ إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي.

ومعتنقو هذه الملة في النار إذا علموا بدعوة الإسلام ولم يؤمنوا بها لقول النبي عليه وعلى آله أتم الصلاة والتسليم: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار» أخرجه مسلم وأحمد عن أبي هريرة، ولما استشهد به عبد الله بن رواحة رضي الله عنه أمام النبي ﷺ، وأقره عليه، من البيت الآتي:

شَهِدْتُ بأَنَّ وعْدَ اللهِ حقٌّ ... وأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الكافِرِينَ

***

---

(١) الآية ١١٦ من سورة المائدة.

المبحث الرابع

افتراق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة

الأمة في اللغة: قال ابن منظور في «لسان العرب»[1] في مادة (أمم)، نقلاً عن الليث: الأمة كل قوم نُسبوا إلى نبي فأُضيفوا إليه فهم أمته وقيل أُمة سيدنا محمد ﷺ كلُّ من أُرسل إليه ممن آمن به أو كفر.

وقال في «تاج العروس»: والأُمة ـ بالضم ـ القرن من الناس، يقال: قد مضت أمم أي قرون.

وقال العلاّمة الراغب الأصفهاني في «المفردات»[2]: (الأمة: كل جماعة يجمعهم أمرٌ ما: إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيراً أم اختياراً) وجمعها أمم.

وأتت الأمة في القرآن الكريم بمعان متعددة منها:

١ ـ الصنف من الناس والجماعة كقوله عز وجل: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[3].

٢ ـ وتأتي الأمة بمعنى الإمامة والرباني، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾[4].

٣ ـ وتأتي الأمة بمعنى جماعة العلماء الذين يدعون إلى الله، كقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ . . .﴾[5].

---

(١) ١٢/٢٦ من طبعة دار صادر.

(٢) ص ٢١.

(٣) الآية ٢١٣ من سورة البقرة.

(٤) الآية ١٢٠ من سورة النحل.

(٥) الآية ١٠٤ من سورة آل عمران.

٤ ـ وتأتي بمعنى الدين لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[١].

والأمة في هذا المبحث تأتي بمعنيين: عامّ وخاصّ:

أولاً: الأمة بالمعنى العام:

وهي البشرية كافة والجن من حين بعثة نبينا محمد إلى قيام الساعة، أبيضهم وأسودهم وعربهم وعجمهم، الناطقين بالضاد وغير الناطقين بها. ومن المعلوم من الدين بالضرورة بأن رسول الله ﷺ أرسل للناس كافة، والإسلام ناسخ لسائر الأديان، وسيدنا محمد ﷺ هو خاتم النبيين، ويوضح ذلك الأدلة الآتية:

١ ـ قول الله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[٢].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٣].

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ ﴾[٤].

٤ ـ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا . . . ﴾[٥].

٥ ـ وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[٦].

٦ ـ ومن السنة المطهرة قول النبي ﷺ فيما رواه جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعطيتُ خمساً لم يُعْطَهُنّ أحدٌ من الأنبياء قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجلٍ من أمتي أدركته الصلاة

---

(١) الآية ٥٢ من سورة المؤمنون.

(٢) الآية ٢٠ من سورة آل عمران.

(٣) الآية ٢٨ من سورة سبأ.

(٤) الآية ١٧ من سورة هود.

(٥) الآية ١٥٨ من سورة الأعراف.

(٦) الآية ١ من سورة الفرقان.

فليصل، وأُحلّت لي الغنائم ولم تُحل لأحد قبلي، وأُعطيتُ الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصّة وبُعثت إلى الناس عامة» متفق عليه.

٧ ـ وأخرج مسلم وأحمد ـ واللفظ لأحمد ـ عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي أو نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار».

٨ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «أُعطيتُ خمساً لم يُعطهن نبيٌّ قبلي ولا أقوله فخراً: بُعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود، ونُصرت بالرعب من مسيرة شهر، وأُحِلَّت لي الغنائم ولم تُحَلّ لأحد قبلي، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأُعطيتُ الشفاعة فأخّرتها لأمتي يوم القيامة، فهي لمن لا يشرك بالله شيئاً» أخرجه أحمد.

٩ ـ ما أخرج الإمام أحمد في مسنده عن الشَّعبي عن عبد الله بن ثابت قال: «جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مررت بأخ من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغير وجه رسول الله، قال عبد الله ابن ثابت: فقلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، فسُرِّي عن النبي ﷺ، ثم قال: والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتّبعتموه وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من الأنبياء».

تنبيه:

فيتضح من هذه النصوص القرآنية والحديثية بأن النبي محمداً ﷺ بُعث للناس والجن كافة فمن تابعه وآمن بدعوته كان من أمة الإجابة، وهي أمة الإسلام. ومن لم يجبه لدعوته كان من أمة الدعوة وهو مطالَبٌ بالإيمان بالإسلام والتخلّي عن نحلته التي يعتنقها سواء أكانت هذه النحلة يهودية أو نصرانية أو بوذية أو هندوكية أو أيّة نحلة وثنية أو إلحادية. وستظل الدعوة فيهم إلى يوم القيامة فمن آمن دخل الجنة ومن بقي على كفره ومات عليه فهو من أهل النار إذ لا دين عند الله إلا الإسلام، ونبينا محمد خاتم النبيين. ويوضح ذلك الأدلة الآتية:

١ ـ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟

ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[1].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2].

٣ ـ وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾[3].

وكون الإسلام خاتم الرسالات فرسول الإسلام سيدنا محمد بن عبد الله عليه وعلى آله الصلاة والسلام خاتم الرسل، للدليلين الآتيين:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[4].

٢ ـ وفي السنّة المطهرة فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَثَلي ومَثَل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى داراً بناءً فأحسنه وأجمله إلا موضعَ لَبِنَة في زاويةٍ من زواياها فجعل الناسُ يطوفون به ويتعجّبون له، ويقولون هلّا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين».

ثانياً: الأمة بالمعنى الخاص:

فهي أمة الإجابة، وهم الذين أجابوا الدعوة ودخلوا في دين الله وهم أهل الجنة. وهم المقصودون بالأدلة الآتية والخارج منهم عاص لا كافر، ويعذَّب في النار على قدر ذنبه أو تلحقه رحمة الله أو شفاعة النبيّ كما هو مبين في مبحث النار.

١ ـ يوضّح ذلك قولُه تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[5].

---

(١) الآية ١٩ من سورة آل عمران.
(٢) الآية ٨٥ من سورة آل عمران.
(٣) الآية ٣ من سورة المائدة.
(٤) الآية ٤٠ من سورة الأحزاب.
(٥) الآية ١١٠ من سورة آل عمران.

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[1].

٣ ـ ومن السنة المطهرة: ما رواه المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون» أخرجه البخاري.

٤ ـ وما رواه معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال في أمتي أمة قائمةً بأمر الله ما يضرُّهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» أخرجه البخاري.

٥ ـ وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليقرأنّ القرآن ناسٌ من أمتي يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرّمِيّة» رواه أحمد.

٦ ـ وما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة أبداً وإن يد الله مع الجماعة فاتّبعوا السوادَ الأعظم فإن من شذ شذ في النار» أخرجه الترمذي وابن ماجه وعِبد بن حُميد والحاكم.

٧ ـ وما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة أبداً فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم» أخرجه ابن ماجه.

* * *

---

(١) الآية ١٤٣ من سورة البقرة.

المبحث الخامس

الملّة

الملة في اللغة الشريعة أو الدين كملّة الإسلام والنصرانية واليهودية، وقيل هي معظم الدين وجملة ما يجيء به الرسل. وقال الراغب: الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه ليتوصّلوا به إلى جواره، والفرق بينها وبين الدين أن الملة لا تُضاف إلا للنبي الذي تستند إليه ولا تكاد توجد مضافة إلى الله تعالى ولا إلى آحاد الأمة ولا تُستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها. وقال أبو إسحٰق: الملة في اللغة: السّنّة والطريقة، وقال في «الأساس»: ومن المجاز الملة: الطريق المسلوكة، ومنه ملة إبراهيم عليه السلام خير الملل[1].

وورد في «المعجم الوسيط»: الملة: الشريعة أو الدين، كملّة الإسـلام والنصرانية، وهي اسم لما شرع الله لعباده بوساطة أنبيائه ليتوصّلوا به إلى السعادة في الدنيا والآخرة. ووردت الملة في القرآن العظيم في عدة آيات. نختار منها بعضها ذات الدلالة المتنوعة، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[2]، ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴾[3]، ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[4]، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾[5]، ﴿ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم

---

(١) انظر تاج العروس: ١١٩/٨.

(٢) الآية ١٣٠ من سورة البقرة.

(٣) الآية ١٢٠ من سورة البقرة.

(٤) الآية ٩٥ من سورة آل عمران.

(٥) الآية ١٢٥ من سورة النساء.

بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [1]، ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ [2]، ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [3]، ﴿ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ [4].

ويتبيّن المقصود من هذه الآيات في موضوع الملة في النقاط الآتية المنقولة ملخصةً من التفاسير الآتية: التفسير الكبير للفخر الرازي، وتفسير ابن كثير، والدر المنثور للسيوطي، والمنار.

١ ـ فملة إبراهيم الواردة في الآيات هي ملة الإسلام دين الفطرة لا غيرها من الملل. ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [5].

٢ ـ وإن الدين المقصود في الآيات هو الإسلام وإن أبا الأنبياء إبراهيم هو الذي سمَّى أمة الإجابة مسلمين ومَن سواهم أهل الضلالة، وهي استجابة لدعوته.

٣ ـ وإن الأنبياء جميعهم متبعون ملة إبراهيم وهي ملة الإسلام، لا ملّة غيرها مقبولة عند الله. إسحٰق ويعقوب اللذان يدَّعي اليهود والنصارى اتّباع ملتهما زوراً وبهتاناً ولو كانوا متبعين لهما لاتبعوا نبينا محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام لأنه على ملة إبراهيم وإسحٰق ويعقوب. وكل من سلك طريق الهدى واتبع طريق المسلمين وأعرض عن طريق الضالين، فإن الله يهدي قلبه ويعلّمه ما لم يكن يعلم ويجعله إماماً يُقتدى به في الخير وداعياً إلى سبيل الرشاد.

٤ ـ وإن أتباع ملة إبراهيم هو نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ومن تابعه إلى يوم القيامة وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين.

---

(١) الآية ٣٧ من سورة يوسف.
(٢) الآية ٣٨ من سورة يوسف.
(٣) الآية ٧٨ من سورة الحج.
(٤) الآية ١٣ من سورة إبراهيم.
(٥) الآية ٦٧ من سورة آل عمران.

٥ ـ ومعنى الحنيف في الآيات، هو المائل عن الشرك قصداً أي تاركاً له عن بصيرة ومُقبلً على الحق بكليته لا يصدّه عنه صادّ، ولا يرده عنه رادّ.

٦ ـ ومعنى سَفِهت نفسُه في الآيات: أي حمقت وصار سفيهاً، وهو من أهل الضلال وحاد عن الحق.

٧ ـ ويوضحه الحديث الذي رواه الحارث الأشعري عن رسول الله ﷺقال: «من دعا بدعوة الجاهلية فإنه مِن جثى جهنم، قال رجل: يا رسول الله وإن صام وصلى؟ قال: نعم وإن صام وصلى، فادْعُوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله» أخرجه النسائي.

٨ ـ وذكر ابن كثير عند تفسيره ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ . . . ﴾ عن ابن جرير بأن الخطاب موجَّه إلى نبينا محمد ﷺ بأنه لا اليهود ولا النصارى براضية عنك أبداً، فدع طلب ما يُرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق، وإن الهدى هو هدى الله الذي بعثك به وهو الإسلام، والخطاب موجَّه لأمة الإجابة، وإن ملة الكفر ملة واحدة وهي أمة الدعوة من يهود ونصارى وغيرهم. انتهى ملخصاً.

٩ ـ وذكر الأستاذ رشيد رضا في تفسير المنار فائدة : عند تفسير ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ حكاية عن السُّدِّي حيث قال : التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى، فقالت اليهود للمسلمين: نحن خير منكم، ديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين إبراهيم ولن يَدخل الجنة إلا من كان يهودياً. وقالت النصارى مثل ذلك. فقال المسلمون: كتابنا بعد كتابكم ونبينا بعد نبيكم وديننا بعد دينكم، وقد أُمرتم أن تتبعونا وتتركوا أمركم، فنحن خير منكم، نحن على دين إبراهيم وإسماعيل وإسحٰق، ولن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا، فرد الله عليهم قولهم فقال: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ ﴾ . . . إلخ.

وحكى أيضاً الأستاذ رشيد رضا رواية ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكر أن الآيات الثلاث نزلت في ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ

وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا * وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾[1].

* * *

(١) الآيات ١٢٣ ـ ١٢٥ من سورة النساء.

المبحث السادس
ما أنا عليه وأصحابي

١ ـ لا بد للدخول في هذا الموضوع من معرفة ما كان عليه رسول الله مع صحبه من تعريف الصحابة والإسلام ومن هو المسلم. فما أتى به رسول الله ﷺ هو كلمة التوحيد حيث قال في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه حيث قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئتُ به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله». متفق عليه.

٢ ـ الصحابي هو كلُّ من رأى النبيَّ أو رآه النبيُّ وهو مسلم ومات على الإسلام.

ما هو الإسلام، ومَنْ هو المسلم؟.

٣ ـ الإسلام بمعناه العام هو إسلام الوجه لله والخلوص من الشرك وأهله، أي التوجّه الكامل إلى الله والخضوع الكامل لأوامر الله.

والاستدلالات على جزئيات هذا التعريف من كتاب الله العزيز هي الآتي:

(أ) ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

(ب) ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[2].

(ج) ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3].

---

(١) الآية ١١٢ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٢٥ من سورة النساء.

(٣) الآيتان ١٣٠ و ١٣١ من سورة البقرة.

(د) ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1].

(هـ) ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾[2].

(و) ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[3].

(ز) ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾[4].

(ح) ﴿ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾[5].

(ط) ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾[6].

ودين الأنبياء واحد، وهو الإسلام لقوله ﷺ: «إنا معشر الأنبياء ديننا واحد» متفق عليه.

٤ ـ والمسلم هو من شهد بأنْ لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وآمن

(١) الآيتان ١٢٧ و ١٢٨ من سورة البقرة.
(٢) الآية ٤٤ من سورة المائدة.
(٣) الآية ١٣٣ من سورة البقرة.
(٤) الآية ١٠١ من سورة يوسف.
(٥) الآية ٧٨ من سورة الحج.
(٦) الآية ١١٠ من سورة آل عمران.

بأصول الإسلام الواردة في حديث جبريل الذي رواه أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله، وفيه يقول: «أتاكم جبريل يعلّمكم أمورَ دينكم». فبيّن لنا المصطفى عليه الصلاة والسلام بأنّ هذا هو الإسلام وهذا هو المسلم.

١ ـ قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: بينما نحن جلوسٌ عند رسول الله ﷺ ذاتَ يوم إذ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياض الثياب شديدُ سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبيّ ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام قال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيمَ الصلاة وتؤتيَ الزكاة وتصومَ رمضان وتحجَّ البيت الحرام إن استطعت إليه سبيلاً»، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمنَ بالقدر[1] خيره وشره»، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: «أن تَلِدَ الأَمَةُ ربَّتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاه يتطاولون في البنيان»، قال: ثم انطلق، فلبثت مليّاً ثم قال لي: «يا عمر، أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» أخرجه مسلم.

٢ ـ وروى ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصوم رمضان» رواه البخاري ومسلم.

٣ ـ وروى ابن عباس رضي الله عنهما أن وفد عبد القيس أَتَوْا النبيَّ ﷺ وأخبروه بأنهم لا يستطيعون الحضور إليه إلا في شهر حرام، وقالوا: فمُرنا بأمر نخبر به مَنْ وراءنا ندخل الجنة، فأمرهم ﷺ بأربع ونهاهم عن أربع وكان أول ما أمرهم به الإيمان بالله وحده ثم قال عليه الصلاة والسلام «وهل تدرون ما الإيمان بالله

---

(١) القَدَرية منكرو القدر كفار لقول النبي: «القدرية مجوس هذه الأمة» أخرجه أبو داود والطبراني وغيرهما.

وحده؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» أخرجه البخاري.

٤ ـ وروى أنس رضي الله عنه عن رسول الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاتنا واستقبل قِبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته» أخرجه البخاري والنسائي.

٥ ـ وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «يا معاذ أتدري ما حقُّ الله على العباد وما حق العباد على الله؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله ألاَّ يعذِّبَ مَنْ لا يشرك به شيئاً»، قلت: يا رسول الله أفلا أُبَشِّر الناس؟ قال: «لا تبشِّرْهم فيتّكلوا» متفق عليه.

٦ ـ وفي الصحيح عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد مِن دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل» أخرجه مسلم من رواية أبي مالك الأشجعي عن أبيه.

٧ ـ وعن المقداد بن عمرو الكندي ـ وهو ممن شهدوا بدراً ـ أنه قال: يا رسول الله، إن لقيتُ كافراً فاقتتلنا فضرب يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ بشجرة وقال: أسلمت لله، أأقتله بعد أن قالها؟ قال رسول الله ﷺ: «لا تقتله»، قال: يا رسول الله فإنه طرح إحدى يدي ثم قال ذلك بعد ما قطعها، أأقتله؟ قال: «لا تقتله، فإن قتلتَه فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال» أخرجه البخاري.

٨ ـ وعن أسامة بن زيد بن حارثة قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقتُ أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، قال: فلما غشيناه قال لا إله إلا الله، قال: فكَفَّ عنه الأنصاري فطعنتُه برُمحي فقتلتُه، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ قال: فقال لي: «يا أسامة أقتلتَه بعد أن قال لا إله إلا الله؟!» فما زال يكرِّرها عليَّ حتى تمنيتُ أني لم أكن أسلمتُ قبل ذلك اليوم. أخرجه البخاري.

٩ ـ وعن عتبان بن مالك البدري قال: كنت أصلي لقومي بني سالم وكان

يحول بيني وبينهم واد، إذا جاءت الأمطار فيشق عليّ اجتيازه قبل مسجدهم فجئت رسول الله ﷺ فقلت له إني أنكرت بصري وإن الوادي الذي بيني وبين قومي يسيل إذا جاءت الأمطار فيشق عليّ اجتيازه فوددت أنك تأتي بيتي فتصلي في بيتي مكاناً أتخذه مصلى فقال ﷺ: «سأفعل» فغدا عليَّ رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه بعد ما اشتد النهار واستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له فلم يجلس حتى قال: «أين تحب أن أصلي من بيتك» فأشرت له إلى المكان الذي أحب أن أصلي فيه فقام رسول الله ﷺ فكبر وصففنا وراءه فصلى ركعتين ثم سلم وسلمنا حين سلم فحبسته على خزيرة تصنع له فسمع أهل الدار أن رسول الله ﷺ في بيتي فثاب رجال منهم حتى كثر الرجال في البيت فقال رجل منهم ما فعل مالك بن الدخشم لا أراه؟ فقال رجل: ذاك منافق لا يحب الله ورسوله فقال رسول الله ﷺ: «لا تقل ذلك، ألا تراه قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله تعالى؟» فقال: الله ورسوله أعلم أما نحن فما نرى، وده ولا حديثه إلا إلى المنافقين فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» متفق عليه.

١٠ ـ عن عبد الله بن عدي بن الخيار عن رجل من الأنصار حدثه أنه أتى النبي ﷺ وهو في مجلس فشاوره ليستأذنه في قتل رجل من المنافقين فجهر رسول الله ﷺ فقال: «أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟» قال الأنصاري: بلى يا رسول الله ولا شهادة له فقال ﷺ: «أليس يشهد أني رسول الله؟» قال بلى يا رسول الله ولا شهادة له قال: «أليس يصلي؟» قال بلى يا رسول الله ولا صلاة له فقال رسول الله ﷺ «أولئك الذين نهاني الله عنهم» رواه أحمد.

١١ ـ وعند أبي داود: ثلاثٌ من أصل الإيمان: الكفُّ عمن قال لا إله إلا الله ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماضٍ منذ بعثني الله إلى أن يُقاتل آخر أمتي الدجّال لا يُبطله جَوْر جائر ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار.

١٢ ـ وسئل جابر: هل كنتم تدعون أحداً من أهل القبلة مشركاً فقال: معاذ الله. رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير برجال الصحيح، كما في مجمع الزوائد.

١ ـ فيتضح من هذه الأدلة الصحيحة بأن المسلم من شهد أن لا إله إلا الله.

٢ ـ كما يتضح بأن ما كان عليه نبيُّنا محمد ﷺ وأصحابه هو كلمة التوحيد.

٣ ـ كما يتضح من هذه الأدلة أيضاً بأن كل من قال لا إله إلا الله ومات على ذلك كان من أهل الجنة.

٤ ـ كما يتضح من هذه الأدلة بأن كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله عُصم دمُه ومالُه.

٥ ـ ويتضح من هذه الأدلة أن هذه هي الفئة الناجية ومن أشرك بكلمة التوحيد انتقل من أمة الإجابة إلى أمة الدعوة. وإنْ عَلم به الإمام وثبت عليه الإشراك هُدر دمه وقُتل ردةً ولا غُسلَ له ولا تكفين ولا صلاة عليه ولا دفن له في مقابر المسلمين(١).

فرع:

الإسلام وكلمة التوحيد هي دعوةُ الأنبياء والرسل. ومنذ أن خلق الله البرية والأرض ومَن عليها ورسلُه ورسائلُه تتتابع إلى الثقلين حتى رسالة خاتم الأنبياء وسيد الرسل نبينا محمد ﷺ حيث بيَّن لنا الله في محكم التنزيل على لسان نوح: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(٢)، وقال عن لسان أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾(٣)، وعلى لسان أبي الأنبياء أيضاً وابنه إسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾(٤)، وقال تعالى على لسان سيدنا يعقوب عندما أوصى بَنِيه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٥)، وعلى لسان يوسف الصِّدِّيق عليه السلام فقال تعالى: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾(٦)، وعلى لسان نبي الله موسى ابن عِمْران عليه السلام فقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾(٧)، وعلى لسان بلقيس ملكة سبأ عندما أمرها سيدنا سليمان

---

(١) انظر مبحث النار ـ فرع التكفير.
(٢) الآية ٧٢ من سورة يونس.
(٣) الآية ٦٧ من سورة آل عمران.
(٤) الآية ١٢٨ من سورة البقرة.
(٥) الآية ١٣٢ من سورة البقرة.
(٦) الآية ١٠١ من سورة يوسف.
(٧) الآية ٨٤ من سورة يونس.

عليه السلام بالمجيء إليه وهي مسلمة ، حيث قال تعالى : ﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[1]، وفي قوله تعالى : ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2]، وعلى لسان حواريّي عيسى عليه السلام حيث شهدوا أمامه بأنهم مسلمون، إذ قال تعالى : ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[3].

١ ـ فيتضح من هذه النصوص القرآنية بأن جميع الرسل ومن تابعهم كانوا يَدينون إلى الله بالإسلام وهو دين التوحيد والفطرة ونفي الشرك.

٢ ـ ويتضح أن كل من تابع هؤلاء الرسل في عقيدتهم كان من أمة الإجابة ولو كان نفراً أو أنفاراً كما قال الله واصفاً نبيه سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾، وكلُّ من لم يُجب كان كافراً وهو من أهل النار خالداً فيها أبداً.

٣ ـ ويتضح من هذه الأدلة أن الدين عند الله الإسلام ومن يبتغ غيره فلن يُقبل منه كما قال الله تعالى في الآية ٦٧ من سورة آل عمران سالفةِ الذكر.

٤ ـ ما كان عليه رسول الله وأصحابه هو كلمة التوحيد التي دعا لها سائر الأنبياء والتي أخذ الله العهد على ذرية بني آدم بالانصياع لها، فمَنْ انقاد لها فهو من أمة الإجابة ومن أهل الجنة، ومَنْ تولّى عنها وأعرض فهو من أهل النار خالداً مخلَّداً فيها، حيث قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ * وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَاتْلُ عَلَيْهِمْ ...... ﴾[4]، ويوضح ذلك قولُ النبيّ ﷺ: «ما من مولود إلا يُولَد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه وينصِّرانه ويمجِّسانه» متفق عليه، وفي رواية: «ما من مولود يولد إلا وهو على الملة»، وفي رواية: «ليس مولود يولد إلا على هذه الفطرة حتى يعبِّر عنه لسانُه».

---

(١) الآية ٣١ من سورة النمل.

(٢) الآية ٤٤ من سورة النمل.

(٣) الآية ٥٢ من سورة آل عمران.

(٤) الآيات ١٧٢ ـ ١٧٥ من سورة الأعراف.

تنبيه :

قد ينساب إلى بعض الأذهان الفهمُ الخاطىء من منطوق الحديث: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» أخرجه أحمد والبزار. والحكم الذي ذكره العلماء من هذا الحديث أن المراد تمام الإسلام وكماله لا أصل الإسلام، ويوضحه قولُ النبي ﷺ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» ـ وزاد الطبراني في الكبير «وحرمة ماله كحرمة دمه» ـ أخرجه أحمد والستة إلا أبا داود. فلم يقل أحد من أهل العلم فيمن قاتل مسلماً أي ضاربه بأنه كافر بل قالوا إنه ناقص في إسلامه[1].

* * *

---

(١) انظر أيضاً مبحث النار لينجلي لك مفهوم الكفر وأحكامه.

المبحث السّابع
النّـــار

النار دار العذاب للمشركين والكفار والعصاة من المسلمين، والنار في هذا الحديث مقصود بها الخلود[1]، فالفئات المخلّدة في النار هم الذين لم يلبوا دعوة نبينا سيدنا محمد ﷺ من أمة الدعوة وماتوا وهم غير مؤمنين بنبوة محمد ﷺ. وفي هذا المبحث عدة فروع:

الفرع الأول: المشركون:

المشرك هو كل من جعل لله نِدّاً في عبادته كمن عبد الأوثان أو النجوم والكواكب أو الجان أو الإنسان، فهؤلاء جميعاً مشركون خالدون في النار خلوداً أبداً لا يخرجون منها وهم في عذاب سرمديّ. ويتّضح ذلك من قوله تعالى في الآيات الكريمة الآتية: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[2]، ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾[3]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾[4]، ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ

---

(١) بدليل ذكر اليهود والنصارى وهم كفار بالأصل ومخلدون في النار كما أثبتت ذلك الأدلة. انظر مبحثي بني إسرائيل والنصارى.

(٢) آية ٧٢ من سورة المائدة.

(٣) آية ٦ من سورة فصلت.

(٤) آية ٦من سورة البينة.

ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1].

والخطيئة كما ذكر ابن كثير عن ابن عباس والحسن: الشرك، وقول النبي ﷺ بأن المشرك لا يُغفر له ومن لا يغفر له مصيره النار. وتوضح ذلك الأحاديث الآتية:

١ ـ عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله عز وجل[2]: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاءُ سيّئةٍ سيئةٌ مثلها أو أغْفر، ومن تقرّب مني شبراً تقرّبت منه ذراعاً، ومن مشى إليَّ ذراعاً تقرّبتُ منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيتُه هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يُشركُ بي شيئاً لقيتُه بمثلها مغفرة» رواه مسلم.

٢ ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى[3]: يا ابن آدم إنك ما دعوتَني ورجوتَني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عَنان السماء ثم استغفرتَني غفرتُ لك، يا ابن آدم لو أتيتَني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تُشرك بي شيئاً لأتيتُك بقرابها مغفرة» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

الفرع الثاني: الكفار:

الكفر في اللغة الستر، والله ودين الإسلام أوضح الواضحات، فمن أنكر الله سبحانه وتعالى أو نبوة نبينا محمد ﷺ أو الإسلام، فقد ستر ما لا يُستر. والكفر كفران:

(أ) كفر أصلي ويوصف به كل من لم يؤمن بالله ورسوله ودين الإسلام.
(ب) كفر من كان مسلماً وهذا أيضاً كفره كفران:

١ ـ كفرٌ مخرج من الملة.
٢ ـ كفرٌ غير مخرج منها وهم عصاة المسلمين.

فالكافر الأصلي مخلد في النار لا يخرج منها، وكذا من كفر من المسلمين كفراً مُخْرِجاً من الملة مُخَلِّداً في النار وهو المرتد. وتوضِّح ذلك الآيات الآتية:

---

(١) الآية ٨١ من سورة البقرة.
(٢) هذا حديث قدسي.
(٣) هذا حديث قدسي.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1]، ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[2]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾[3]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[4]، ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾[5]، ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[6].

كما يوضح ذلك أيضاً:

ـ قول النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار» أخرجه مسلم وأحمد عن أبي هريرة.

ـ وما استشهد به عبد الله بن رواحة رضي الله عنه أمام النبي ﷺ وأقره عليه من البيت التالي:

شهـدتُ بـأنَّ وعْـد الله حقّ   وأنَ النـار مثوى الكـافـرينَ

---

(١) الآية ٣٩ من سورة البقرة.
(٢) الآية ٢٥٧ من سورة البقرة.
(٣) الآيتان ١٦١ ـ ١٦٢ من سورة البقرة.
(٤) الآية ١١٦ من سورة آل عمران.
(٥) الآيات ٧٨ ـ ٨٠ من سورة المائدة.
(٦) الآية ٣٦ من سورة الأعراف.

الفرع الثالث من المخلَّدين في النار: المرتدّون عن الإسلام:

المرتد هو كل من ارتد عن الإسلام سواء كان بقوله في الله أو النبي أو الإسلام مما يخرجه عن الملة، أو بفعل منافٍ للإسلام كالسجود إلى صنم أو وثن أو تعليقه لصليب في عنقه أو ما شابه ذلك من أفعال الجاهلية وهو عالمٌ بحرمته غيرُ مكره، أو أنكر متواتراً أو استحلَّه، أو أنكر ما كان معلوماً من الدين بالضرورة أو استحل ما حرَّم الله من غير تأويل بعد علمه بحكمه الشرعي، فهؤلاء الأصناف يسمَّوْن مرتدين عن الإسلام مهدوري الدم ولا عصمة لهم ولا يَرثُون ولا يُورثون ولا يغسلون ولا يكفَّنون ولا يصلَّى عليهم ولا يُدفنون في مقابر المسلمين، ويُقتلون كفراً[١] لا حدّاً، لقول النبي ﷺ: «من بدَّل دينه فاقتلوه» أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه وغيرهم. ويدخل في أحكام المرتد من انتمى إلى حزب من الأحزاب التي تتنافى عقائدها مع الإسلام كالحزب الشيوعي[٢] والبعثي وحركة القوميين العرب. والمرتد مخلد في النار أبداً لقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[٣]. ويكون بذلك انتقل بردته من أمة الإجابة إلى أمة الدعوة بدليل استتابته، فإن قبل الاستتابة عاد إلى أمة الإجابة وإن لم يقبل وأصرّ على ردته طُبِّق عليه حكم الله تعالى في الدنيا وكان في الآخرة خالداً مخلداً في النار. وفي الباب آيات كثيرة وأحاديث عديدة مبينة في كتب الأحكام، فلتُراجع في مظانّها، ومنها كتب: «المجموع شرح المهذب»، للنووي، و«المغني» لابن قدامة و«المحلّى» لابن حزم وغيرها.

---

(١) وتثبت الردة بشهادة شرعية معتَبَرة ويقتل بحكم الحاكم.

(٢) انظر مبحث الزنادقة.

(٣) آية ٢١٧ من سورة البقرة.

الفرع الرابع: العصاة من المسلمين:

ورد في محكم التنزيل عديد من الآيات تبيّن حكم العصاة من المسلمين في الآخرة ودخولهم في النار. فكلُّ مسلم تعدّى حدود الله ولم يستحله فهو عاصٍ استحق النار فإن شاء الله غفر له وإن شاء عذّبه بقسط عدله كما هو مبيَّن في تفسيرٍ آيات الأحكام وفي كتب الأحكام. وإنْ كان المتعدِّي لحدود الله مستحلاً لها، فهذا خالد مخلَّد في النار لأنه أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، وتبيِّن ذلك هذه الآيات التي نذكرها على سبيل المثال، قال تعالى:

أولاً: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(١).

فمن تعامل بالربا وكان مستحلاً له دخلٍ في اللعنة كلعنة الرسول ﷺ لليهود وخُلِّد معهم في النار، ومن تعامل به غير مستَحِل له كان من العصاة ويجب عليه الرجوع عنه ولا يصر على بقائه فيه حتى تلحقه منيته وهو على هذا الحال فيُخشى عليه أن يدخل في اللعنة. ويبيِّن ذلك قول النبي ﷺ: «لعن الله اليهود حُرِّمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وأكلوا أثمانها»، وقولُه ﷺ: «لعن الله آكل الربا ومؤكلَه وكاتبَه ومانعَ الصدقة» أخرجه أحمد والنسائي، وقولُه تعالى فيمن تعدى حدود الله في قسمة المواريث بخلاف ما قسمه الله سبحانه وتعالى فيما ذُكر في الآيات التي قبل هذه الآية فإن كان متعدِّياً لحدود الله عامداً فهو خالد في النار، وإن كان جاهلاً أو متأوِّلاً فهو معذَّب على قدر ذنبه وإن شاء الله غفر له.

ثانياً: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(٢).

---

(١) الآية ٢٧٥ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٤ من سورة النساء.

ثالثاً: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[1]. ونزلت هذه الآية في مُقيس بن ضباب حيث قَتل رجلاً من بني فهر بعد أن قضى الرسول لمُقيس بالدية لمقتل أخيه من بني النجار فَقتل الفهري ورجع إلى مكّة المكّرمة معلناً ردّته. وأنشد هذين البيتين:

قتلتُ به فهراً وحملت عقله   سراة بني النجار أرباب فارع
وأدركت ثأري واضجعت مُوَسَّداً   وكنت إلى الأوثان أوّلَ راجع

فأهدر دمَه النبيُّ ﷺ، وقُتل يومَ فتح مكة[2].

فمقيس بن ضباب استحق الخلود في النار بحكم ردته عن الإسلام، وأهدر دمَه الرسولُ وقتله بحكم الله في الدنيا.

والعبرة بعموم الدليل لا بخصوص السبب فمن قتل مؤمناً متعمِّداً مستحلاً دمه خُلِّد في النار، وإنْ قتله خطأً لزمته الدية والكفارة وكذا لو كان متعمداً ولم يرتد عن الإسلام ولم يستحل القتل لزمه القِصاص أو الدية المغلَّظة إذا أسقط أولياء الدم القِصاص وتلزمه الكفارة عند بعض المذاهب[3]، ولا يخلَّد في النار ويقضي عقوبتَه فيها على قدر وزره لأنه من حقوق الآدميين. وأما حديث: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يقتل المؤمن متعمداً» فالمراد الاحتراز من خطأ اليد لا خطأ الاستحلال بدليل ما ذكرناه وسياق الآيات.

ويوضّح ذلك قولُ النبي ﷺ فيما أخرجه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «يُدخل الله أهلَ الجنة الجنة ويُدخل من يشاء في رحمته، ويُدخل أهلَ النار النار. ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه حبةً من خردل من إيمان فأخرجوه فيُخْرَجون منها ويُدْخَلون في نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبَّة إلى جانب السيل، ألم تَرَوْها كيف تخرج صفراء ملتوية؟».

---

(١) الآية ٩٣ من سورة النساء.
(٢) انظر أسباب النزول للواحدي النيسابوري: ص ١٢٧.
(٣) انظر «تفسير ابن كثير» و«المغني» و«المجموع».

ويخرج المؤمنون من النار برحمة الله أو شفاعة[1] النبي ﷺ، وشفاعةُ النبيّ من رحمة الله. وفي الباب أحاديث كثيرة عن الإمام عليّ كرم الله وجهه، وعن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وعن أبي سعيد الخدري كما ذُكر من رواية الصحيحين، وأنس بن مالك، وأبي هريرة، وأبي موسى الأشعري، وعمران بن حصين، وعبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله، أخرج لهؤلاء البخاري ومسلم وأحمد والحاكم، وبهذا قد بلغ حدّ التواتر على قول السيوطي. وفي مجمع الزوائد عن عَشرة من الصحابة غير مَن ذُكروا. ولولا الإطالة لأوردنا جميع الروايات بنصها من المسانيد. فلتُراجَع في مظانها.

رابعاً: قولُه تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[2]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[3]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[4].

١ ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما: (كفرٌ دون كفر، وظلمٌ دون ظلم، وفسوقٌ دون فسق) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم[5].

٢ ـ وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن حذيفة أن هذه الآيات ذُكرت عنده فقال رجل: (إن هذه في بني إسرائيل)، قال حذيفة: «نِعْمَ الإخوة لكم بنو إسرائيل أن كان لكم كلُّ حلوة ولهم كل مُرّة، كلاَّ واللهِ لتسلُكُنّ طريقَهم قَدْرَ الشِّراك»[6].

وقال الفخر الرازي في تفسيره: (ليست الآية في اليهود وهذا القول ضعيف لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب).

---

(١) لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «شفاعتي لأهل الكبائر في أمتي» أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

(٢) الآية ٤٤ من سورة المائدة.

(٣) الآية ٤٥ من سورة المائدة.

(٤) الآية ٤٧ من سورة المائدة.

(٥) انظر الدر المنثور للسيوطي.

(٦) انظر الدر المنثور للسيوطي.

وأقول: إن سياق الآيات يدل على أنها للمسلمين ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ...﴾[1]، إن الخشية لا تكون إلا من المسلم لأن الكافر لا يَخشى الله سبحانه وتعالى.

٣ ـ وذكر السيوطي في الدر المنثور عن حميد بن حميد عن حكيم بن جبير أنه سأل سعيد بن جبير عن قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم... وَمَن لَّمْ يَحْكُم... وَمَن لَّمْ يَحْكُم...﴾[2]؟ قال: فقلت: زعم قوم أنها نزلت على بني إسرائيل ولم تنزل علينا، قال: اقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال: لا بل نزلتْ علينا[3].

٤ ـ وذكر السيوطي في تفسير الدر المنثور عن حكيم بن جبير أنه لقي مقسماً مولى ابن عباس فسأله عن هؤلاء الآيات التي في المائدة، قال: (زعم قوم أنها نزلت على بني إسرائيل ولم تنزل علينا، قال: إنها نزلت على بني إسرائيل ونزلت علينا وما نزل علينا وعليهم فهو لنا ولهم. ثم دخلتُ على عليِّ بن الحسين فسألته ـ وذكر أنه ذكر له ما قاله سعيد ومقسم ـ قال: قال: صدق لكنه كفر ليس ككفر الشِّرك، وظلم ليس كظلم الشرك، وفسق ليس كفسق الشرك. فلقيت سعيد بن جبير فأخبرته بما قال، فقال سعيد بن جبير لابنه: كيف رأيته؟ قال: لقد وجدت له فضلاً عظيماً عليك وعلى مقسم). والمراد أن عدم الحكم بما أنزل الله أو تركه إلى غيره ـ وهو المراد ـ لا يُعَدّ كفراً بمعنى الخروج من الدين، بل بمعنى أكبر المعاصي. انتهى بنصِّه من تفسير الدر المنثور.

٥ ـ وروي عن ابن عباس في معنى الآية (ليس الكفرَ الذي تذهبون إليه) رواه عنه ابن أبي حاتم والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وذكر ابن كثير في تفسيره عن الثوري عن عطاء: (ليس بكفر ينقل عن الملة)، وروي: أيضاً عن طاووس.

٦ ـ ولا يكفر الحكام المسلمون إذا لم يحكموا بما أنزل الله إلا إذا كانوا

---

(١) الآية ٤٤ من سورة المائدة.

(٢) الآيات ٤٤ ـ ٤٧ من سورة المائدة.

(٣) انظر الدر المنثور.

مستهزئين أو مستهينين، كمن أعرض عن الحكم بحدّ السرقة أو القذف أو الزنا غير مذعنٍ له لاستقباحِه إياه وتفضيل غيره من أحكام البشر الوضعية عليه فهو كافر قطعاً. ودليل ذلك ما ذكره ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما: (من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقرّ به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق) رواه ابن جرير.

٧ ـ وذكر الشيخ محمد أمين الشنقيطي في تفسيره «أضواء البيان» رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما في آية ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: فقد فعل فعلاً يضاهي أفعال الكفار. وذكر أيضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار، أي معتقداً ذلك ومستحلاً له. وروى القُشَيري عن الخوارج أن من ارتشى وحكم بحكمٍ غير حكم الله فهو كافر. انتهى.

٨ ـ وروى القرطبي عن الحسن البصري أنه قال: (إن الله أخذ على الحكام ثلاثة أشياء: ألَّا يتبعوا الهوى، وألا يخشَوْا الناس ويخشوه، وألا يشتروا بآياته ثمناً قليلاً).

٩ ـ وذكر الفخر الرازي في تفسيره نقلاً عن عكرمة بأن قول الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إنما يتناول من أنكر بقلبه وجحد بلسانه، أما من عرف بقلبه كونه حكم الله وأقر بلسانه كونه حكم الله، إلا أنّه أتى بما يضادُّه فهو حاكم بما أنزل الله تعالى، ولكنه تارك له، فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية، وهذا هو الجواب الصحيح.

ورأيت فتوى للشيخ محمد رشيد رضا في «تفسير المنار» شافيةً كافية في هذا الموضوع فأحببت أن ألحقها في آخر البحث فلتُنظر[١].

تنبيه:

متى يجوز للمسلمين الخروجُ على الإمام الشرعي ومتى لا يجوز؟

ذكر ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري»[٢] أحاديثَ تبيِّنُ متى يجوز الخروج على الإمام الشرعي ومتى لا يجوز:

(١) من ص ٧٣ ـ ٧٧.
(٢) ١٣/٨.

١ ـ أخرج الطبراني من حديث يزيد بن سلمة الجعفي أنه قال: «يا رسول الله، إنْ كان علينا أمراء يأخذون بالحقّ الذي علينا ويمنعونا الحقَّ الذي لنا أنقاتلهم؟ قال: لا، عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم».

٢ ـ وأخرج مسلم من حديث أم سلمة مرفوعاً: «سيكون أمراء فيعرفون وينكرون، فمن كره برىء، ومن أنكر سلم، ولكن من رَضِيَ وتابع. قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: لا، ما صلَّوْا».

٣ ـ ومن حديث عوف بن مالك رفعه في حديث في هذا المعنى: «قلنا: يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: لا، ما أقاموا الصلاة». وفي رواية له: بالسيف، وزاد: «وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عَمَلَه ولا تَنْزِعُوا يداً من طاعة».

٤ ـ وفي حديث عمر في مسنده للإسماعيلي من طريق أبي مسلم الخَوْلاني عن أبي عبيدة بن الجرّاح عن عمر رفعه قال: «أتاني جبريل فقال: إن أمتك مُفْتَتَنة من بعدك، فقلت: من أين؟ قال: من قِبَل أمرائهم وقرّائهم[1]، يمنع الأمراء الناس الحقوق فيطلبون حقوقهم فيفتنون، ويتبع القرّاء هؤلاء الأمراء فيفتنون. قلت: فكيف يسلم من سلم منهم؟ قال: بالكفّ والصبر، إنْ أُعْطُوا الذي لهم أخذوه وإن منعوه تركوه».

ومن أراد الاستزادةَ في هذا الموضوع فليرجع إلى فتح الباري ـ طبعة الرّيّان.

الفرع الخامس: متى يكفر المسلم؟

أجمع علماء الإسلام على عدم تكفير أحد من أهل القِبْلة إلا إذا رُئي منه كفر بَواح، لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم وأحمد عن عبادة بن الصامت: «إلا أن تَرَوْا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان»[2].

واعلم أن أصل الكفر التكذيب المُتَعَمَّد لشيء من كتاب الله أو لأحد من رسله عليهم السلام، أو لشيء مما جاءوا به إذا كان ذلك الأمر معلوماً من الدين

---

(١) القراء هم العلماء.

(٢) وشذ عن الإجماع الخوارج إذ كفّروا مرتكب الكبيرة.

بالضرورة. ولا خلاف أن هذا القدر كفر، ومن صدر عنه فهو كافر إذا كان مكلَّفاً مختاراً غيرَ مختلّ العقل ولا مُكْرَه. وكذلك لا خلاف في كفر من جحد ذلك المعلوم من الدين بالضرورة ولو تستّر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله كالملاحدة في تأويل جميع الأسماء الحسنى بل جميع القرآن والشرائع والميعاد الأخروي من البعث والقيامة والجنة والنار، ويكفر الزنادقة[1]، والمجسِّمة[2]، والمشبِّهة[3]، والقدرية[4]، للأدلة الواردة فيها. ومن لا دليل على كفره من كتاب ولا سنة لا يكفر بالقياس لأن القياس ـ عند المحققين من علماء المعقولات ـ لا يكون قاطعاً لأن الأمرين إن استويا في جميع الوجوه لم يكن قياساً وإن وُجد بينهما فارق جاز أن يكون مؤثِّراً في عدم استوائهما في الحكم ولم يقم دليل قاطع على أنه وصفٌ مُلْغَى لا تأثير له. وبهذا ليس القياس حجة في التكفير، لقول ابن عمر: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرىء قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما[5]، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه» رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم، ولما روى أبو ذرّ رضي الله عنه وأرضاه قال: قال الرسول ﷺ: «من دعا رجلاً بالكفر أو قال: يا عدوّ الله وليس كذلك إلا حار عليه» رواه مسلم، ولأن القياس ظنّ في إصدار الحكم وتكفير المسلم لا يحصل بالظن، والنبيّ ﷺ نهانا عن اتباع الظن حيث قال: «إياكم والظنَّ فإنَّ بعض الظن أكذبُ الحديث، ولا تجسّسوا ولا تحسّسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عبادَ الله إخواناً، ولا يخطب الرجل على خِطبة أخيه حتى ينكح أو يترك»[6].

وقد حذّر النبي ﷺ من تكفير أهل كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، كما

---

(١) لقول النبي في حديث أبي يعلى الذي صححه الحافظ ابن حجر «تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا واحدة وهي الزنادقة». انظر مبحث الزنادقة.

(٢) لقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ الآية ١١ من سورة الشورى. والمجسمة هم الذين جعلوا الله عز وجل كالمخلوقات له جسم وجهة، والله عز وجل نفى ذلك عن نفسه كما ورد في الآية فمن جسّمه فقد كفر بالدليل.

(٣) يدل على كفرهم بتشبيههم الله بالمخلوقات قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

(٤) لقول النبي ﷺ «القدرية مجوس هذه الأمة» أخرجه أبو داود والطبراني وغيرهما. والقدرية هم منكرو القدر وهو ركن من أركان الإيمان وهو من المعلوم من الدين بالضرورة.

(٥) قال النووي في شرح مسلم: وإلا فقد باء بالكفر وفي رواية إذا قال لأخيه يا كافر وجب الكفر على أحدهما.

(٦) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وأحمد ومالك عن أبي هريرة.

ورد في حديث أنس رضي الله عنه إذ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من أصل الإيمان: الكفُّ عَمَّنْ قال لا إله إلا الله، لا نكفِّره بذنب ولا نُخرجه عن ملة الإسلام بالعمل، والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أُمتي الدجال لا يُبْطله جَوْر جائر ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار» أخرجه أبو داود، ومثله حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ: «كفُّوا عن أهل لا إله إلا الله لا تكفِّروهم بذنب، من كفَّر أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر أقرب» أخرجه الطبراني في الكبير.

وذكر في «مجمع الزوائد» أحاديثَ عن الإمام عليٍّ كرم الله وجهه، وأمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأبي الدرداء، وأبي أمامة، ووائلة، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم، إلا أنّ في أحاديثهم تجريحاً. ولكنّ تصرُّفَ الإمام عليّ مع الخوارج مِنْ رَدِّهِ لأموالهم وعدم سبي ذراريهم وقوله فيهم بعدم الكفر تراه فيما يأتي، ويعضد ذلك ما أخرجه الطبراني عن جابر[1] حيث سئل: هل كنتم تدعون أحداً من أهل القبلة مشركاً؟ قال: معاذ الله. ففزع لذلك. قال: هل كنتم تدعون أحداً منهم كافراً؟ قال: لا.

وعندما قاتل الإمام عليٌّ الخوارجَ وسُئل عن قتاله لهم وعن بُغضهم[2] له، هل يقول بكفرهم؟ فقال: لا.

وها نحن نسوق إليك أقوالَ الإمام عليٍّ بنصها:

١ ـ عندما سئل عليٌّ عن تكفير الخوارج؟ قال: (من الكفر فرّوا).

٢ ـ وعندما سئل عن إيمانهم أجاب: (لو كانوا مؤمنين ما حاربناهم)، قيل: فما هم؟ قال: إخوانُنا بالأمس بغَوْا علينا فحاربناهم حتى يَفيئوا إلى أمر الله.

وثبت هذا بإقرار الصحابة على عدم تكفيرهم كما نقله حميد في كتابه «عمدة المسترشدين».

٣ ـ ونقل ابن بطّال في «شرح البخاري» كلامَ ابن جرير عن سؤال الإمام عليّ في نفاق الخوارج فأجاب الإمام: (لو كانوا منافقين لم يذكروا الله إلا قليلاً).

---

(١) ورجاله رجال الصحيح.

(٢) ومن المعلوم أن بُغْضَ الإمام عليّ كرّم الله وجه وأهلِ بيته من الكفر على قول بعض العلماء، لما وردت فيه من أدلة. انظر رسالتنا «دراسة في نسب السادة بني علوي ذرية الإمام أحمد بن عيسى المهاجر».

وأيضاً جاء في صحيح البخاري بأن النبيَّ ﷺ لم يكفر أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب عندما قال لحاطب: إنك منافق، وكذا معاذاً في قوله للذي خرج من الصلاة حين طوّل معاذ: إنه منافق، وكذا في قضية أسامة ومثله خالد بن الوليد عندما قتلا من قال لا إله إلا الله لم يحكم بكفرهما، وكذا قولة الخارجي[1] الذي قال لرسول الله ﷺ: «اعدل يا محمد. والله إن هذه قسمةٌ ما أُريد بها وجه الله» لم يحكم النبيُّ ﷺ بكفره مع ذلك، مع أنه لو كُفِّر لوجب قتله بالردة.

تنبيه

والكفر كفران، كما سبق أن بيّنا: كفر مخرج من الملة، وكفر غير مخرج من الملة. وقد وردت ألفاظ في الكتاب والسنة تذكر الكفر وتقصد به الكفر غير المخرج من الملة كما بيّنته الآيات المذكورة في الفرع الرابع في هذا البحث، وكذلك بيّنته أحاديثُ عديدة تذكر الكفر ولم يقل أحد بخروج المشار إليهم في تلك الأحاديث من الإسلام، وهذه بعض الأحاديث نسوقها على سبيل المثال:

١ ـ تكفير النبيِّ ﷺ للنساء في الأحاديث الآتية ـ بينما لم يقل أحد بخروجهن من الإسلام ـ :

(أ) قوله ﷺ: «تُكثرن اللعنَ والشكاةَ وتكفرن العشير» أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه وأحمد والدارمي.

(ب) وقوله ﷺ: «يكفرن العشير ويكفرن الإحسان» رواه البخاري ومسلم والنسائي ومالك في الموطأ وأحمد.

(ج) وقوله ﷺ: «لكثرة لعنكنّ وكفركنّ العشير» رواه الترمذي.

وعندما سأل الصحابة الرسول ﷺ: أيكفرن بالله تعالى؟ قال: «لا. يكفرن العشير».

٢ ـ ولما رواه ابن مسعود عن رسول الله ﷺ «سبّ المؤمن فسوق وقتاله كفر» أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

وهذا منوط بالاستحلال بدون تأويل سائغ، وظاهره ليس مراداً وإنما أُطلق

---

(١) وهو حرقوص بن زهير ذو الخويصرة التميمي (انظر كتاب أسباب النزول للواحدي).

عليه ذلك مبالغةً في التحذير بناءً على ما تقرر من قواعد الدين بالضرورة من عدم كفره بمثل ذلك، أو المراد الكفر اللغوي لأنه بقتاله ستر حقوق أخوّة الإسلام من كفّ كفّه عن إراقة دمه وانتهاك حرمته. ومثله حديث عمار: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» متفق عليه واللفظ لمسلم.

٣ ـ وقول النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام فيما رواه عنه جرير بن عبد الله «لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» أخرجه الشيخان وأحمد والنسائي وابن ماجه.

٤ ـ وعن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» أخرجه البخاري.

وهذا الحديث لا يعني نفي أصل الإيمان بل كماله وليس معناه أن من ارتكب واحدة من هذه الكبائر يكون كافراً كفراً مخرجاً من الملة، بدليل مشروعية الحدود الشرعية كحدّ السرقة وحدّ الزنا وحدّ شرب الخمر.

ومن الثابت وقوع عديد من المعارك بين صحابة رسول الله ﷺ والتابعين ولم يقل أحد من الصحابة أو الأئمة الأعلام بكفر أحد الفريقَيْن المتقاتلَيْن بل أكّدوا على إسلامهم كما ورد في قول الإمام عليٍّ عن الخوارج، وعرّفوا الخارجين عن الإمام بالبغاة. وبيّن الله عز وجل ذلك في محكم التنزيل عند قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[1].

فسمّى الله عز وجل الطائفتين مؤمِنينَ ولم يخرجهما من ملة الإسلام بمدلول لفظة الكفر في الحديث: «لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضربُ بعضُكم رقاب بعض». وبشّر النبيُّ ﷺ فئاتِ المسلمين المتقاتلة بالشفاعة إذا كانوا متأوِّلين في قتالهم لا مستحلِّين دماء بعضهم ولا معاندين لحدود الله، وذلك فيما أخرجه أحمد والطبراني في الأوسط عن أم حبيبة زوجة النبي ﷺ قالت: قال: «رأيتُ ما تلقى أمتي بعدي

---

(١) الآية ٩ من سورة الحجرات.

وسفكَ بعضهم دماء بعض فسألتُه أن يؤتِيَني شفاعة يوم القيامة فيهم، ففعل» ورجالهما رجال الصحيح.

ومن العجب أنا نرى اليوم تكفير كثير ممن لم يرسخ في العلم لكثير من العلماء وما دَرَوْا حقيقة مذاهبهم وهذه ما يعقلها إلا العالمون، لكثرة الأدلة الناهية عن تكفير المسلمين، ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1].

نص فتوى السيد محمد رشيد رضا في قضية الحكم بغير ما أنزل الله:

(وقد كان مولوي نور الدين مفتي بنجاب من الهند سأل شيخنا الأستاذ الإمام رحمه الله تعالى عن أسئلة، منها: مسألة الحكم بالقوانين الإنكليزية، فحوّلها الأستاذ لأجيب عنها كما كان يفعل في أمثالها أحياناً. وهذا نص جوابي عن مسألة الحكم بالقوانين الإنكليزية في الهند، وهي الفتوى الـ ٧٧ من فتاوى المجلد السابع من «المنار»):

(الحكم بالقوانين الإنكليزية في الهند)[2]

(س: ٧٧) ومنه: أيجوز للمسلم المستخدَم عند الإنكليز الحكم بالقوانين الإنكليزية وفيها الحكم بغير ما أنزل الله؟

(ج) إن هذا السؤال يتضمن مسائل من أكبر مشكلات هذا العصر، كحكم المؤلفين للقوانين وواضعيها لحكوماتهم، وحكم الحاكمين بها، والفرق بين دار الحرب ودار الإسلام فيها. وإننا نرى كثيرين من المسلمين المتديِّنين يعتقدون أن قضاة المحاكم الأهلية الذين يحكمون بالقانون كفار أخذاً بظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. ويستلزم الحكم بتكفير القاضي الحاكم بالقانون تكفير الأمراء والسلاطين الواضعين للقوانين، فإنهم وإن لم يكونوا ألّفوها بمعارفهم فإنها وضعت بإذنهم، وهم الذين يُولُون الحكام ليحكموا

---

(١) الآية ١٠ من سورة الحشر.

(٢) عَنْوَن المفسِّر لهذا الموضوع بما يلي: (الحكم بالقوانين الإنكليزية ونحوها).

بها، ويقول الحاكم من هؤلاء: أحكم باسم الأمير فلان لأنني نائب عنه بإذنه، ويُطلقون على الأمير لفظ (الشارع).

أما ظاهر الآية فلم يقل به أحد من أئمة الفقه المشهورين بل لم يقل به أحد قط، فإن ظاهرها يتناول من لم يحكم بما أنزل الله مطلقاً سواء حكم بغير ما أنزل الله تعالى أم لا، وهذا لا يكفره أحد من المسلمين حتى الخوارج الذين يكفرون الفساق بالمعاصي ومنها الحكم بغير ما أنزل الله. واختلف أهل السنة في الآية فذهب بعضهم إلى أنها خاصة باليهود وهو ما رواه سعيد بن منصور وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس قال: إنما أنزل الله ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ. . . و. . . ٱلظَّـٰلِمُونَ. . . و. . . ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ في اليهود خاصة. وأخرج ابن جرير عن أبي صالح قال: الثلاث الآيات التي في المائدة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾. . . إلخ، ليس في أهل الإسلام منها شيء هي في الكفار. وذهب بعضهم إلى أن الآية الأولى التي فيها الحكم بالكفر للمسلمين، والثانية التي فيها حكم بالظلم لليهود، والثالثة التي فيها الحكم بالفسق للنصارى، وهو ظاهر السياق. وذهب آخرون إلى العموم فيها كلِّها ويؤيده قول حذيفة لمن قال إنها كلها في بني إسرائيل: نِعْمَ الإخوةُ لكم بنو إسرائيل أن كان لكم كل حلوة ولهم كل مرّة، كلا والله لتسلُكُنّ سبيلَهم قَدْر الشِّراك. رواه عبد الرزاق وابن جرير والحاكم وصححه، وأوّل هذا الفريقُ الآيَةَ بتأويلين:

١ ـ فذهب بعضهم إلى أن الكفر هنا ورد بمعناه اللغويّ للتغليظ، لا معناه الشرعيّ الذي هو الخروج من الملة. واستدلوا بما رواه ابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في السنن عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في الكفر الواقع في إحدى الآيات الثلاث: إنه ليس بالكفر الذي تذهبون إليه إنه ليس كفراً ينقل عن الملة، كفر دون كفر.

٢ ـ وذهب بعضهم إلى أن الكفر مشروط بشرط معروف من القواعد العامة، وهو أن من لم يحكم بما أنزل الله منكراً له راغباً عنه لاعتقاده بأنه ظلم مع علمه بأنه حكم الله، أو نحوَ ذلك مما لا يجامع الإيمان والإذعان. ولعمري إن الشبهة في الأمراء الواضعين للقوانين أشد والجواب عنهم أعسر، وهذا التأويل في حقهم لا

يظهر، وإن العقل ليعسر عليه أن يتصور أن مؤمناً مذعناً لدين الله يعتقد أن كتابه يفرض عليه حكماً ثم هو يغيره باختياره ويستبدل به حكماً آخر بإرادته إعراضاً عنه وتفضيلاً لغيره عليه ويعتدّ مع ذلك بإيمانه وإسلامه. والظاهر أن الواجب على المسلمين في مثل هذه الحال مع مثل هذا الحاكم أن يُلزموه بإبطال ما وضعه مخالفاً لحكم الله ولا يكتفوا بعدم مساعدته عليه ومشايعته فيه، فإن لم يقدروا فالدار لا تُعتبر دارَ الإسلام فيما يظهر، وللأحكام فيها حكم آخر، وها هنا يجيء سؤال السائل. وقبل الجواب عنه لابد من ذكر مسألة يشتبه الصواب فيها على كثير من المسلمين وهي:

إذا غلب العدو على بعض بلاد المسلمين وامتنعت عليهم الهجرة فهل الصواب أن يتركوا له جميع الأحكام ولا يَتَوَلَّوْا له عملاً أم لا؟ يظن بعض الناس أن العمل للكافر لا يحلّ بحال، والظاهر لنا أن المسلم الذي يعتقد أنه لا ينبغي أن يحكم المسلم إلا المسلم، وأن جميع الأحكام يجب أن تكون موافقة لشريعته وقائمة على أصولها العادلة، ينبغي له أن يسعى في كل مكان بإقامة ما يستطيع إقامته من هذه الأحكام، وأن يحول دون تحكُّم غير المسلمين بالمسلمين بقدر الإمكان. وبهذا القصد يجوز له أو يجب عليه أن يقبل العمل في دار الحرب إلا إذا علم أن عمله يضر المسلمين ولا ينفعهم، بل يكون نفعه محصوراً في غيرهم، ومُعيناً للمتغلب على الإجهاز عليهم. وإذا هو تولّى لهم العمل وكُلّف الحكم بقوانينهم فماذا يفعل وهو مأمور بأن يحكم بما أنزل الله؟

أقول: إن الأحكام المنزلة من الله تعالى منها ما يتعلق بالدين نفسه كأحكام العبادات وما في معناها كالنكاح والطلاق، وهي لا تحل مخالفتها بحال، ومنها ما يتعلق بأمر الدنيا كالعقوبات والحدود والمعاملات المدنية، والمنزَّل من الله تعالى في هذه قليل وأكثرها موكول إلى الاجتهاد، وأهمُّ المنزَّل وآكدُه الحدود في العقوبات، وسائر العقوبات تعزير مفوَّض إلى اجتهاد الحاكم، والربا من الأحكام المدنية. وقد ورد في السنة النهي عن إقامة الحدود في أرض العدو، وأجاز بعض الأئمة الربا فيها بل مذهب أبي حنيفة أن جميع العقود الفاسدة جائزة في دار الحرب واستدل له بمناحبة (= مراهنة) أبي بكر رضي الله عنه لأبيّ بن خلف على أن الروم يَغلبون الفرس في بضع سنين وإجازة النبي ﷺ ذلك، وصرّحوا بعدم إقامة الحدود

فيها، روي ذلك عن عمر وأبي الدرداء وحذيفة وغيرهم وبه قال أبو حنيفة. قال في إعلام الموقعين: (وقد نصّ أحمد وإسحاق بن راهويه والأَوْزاعي وغيرهم من علماء الإسلام على أن الحدود لا تُقام في أرض العدو، وذكرها أبو القاسم الخرقي في مختصره فقال: لا يُقام الحدّ على مسلم في أرض العدو. وقد أتى بسر بن أرطأة برجل من الغزاة قد سرق مجنة فقال: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تُقطع الأيدي في الغزو لقطعتك» رواه أبو داود. وقال أبو محمد المقدسي: وهو إجماع الصحابة. روى سعيد بن منصور في سننه بإسناده عن الأحوص بن حكيم عن أبيه أن عمر كتب إلى الناس ألّا يجلدوا أمير جيش ولا سرية ولا رجلاً من المسلمين حدّاً وهو غازٍ حتى يقطع الدرب قافلاً، لئلا تلحقه حميّة الشيطان فيلحق بالكفار. وعن أبي الدرداء مثل ذلك). ثم ذكر ترك سعد إقامة حد السكر على أبي محجن في وقعة القادسية. وذكر أنه قد يَحتج به من يقول لا حدّ على مسلم في دار الحرب كما يقول أبو حنيفة، ولكنه علَّله تعليلاً آخر ليس هذا محل ذكره. وانظر تعليل عمر تجده يصح في بلاد الحرب.

فعُلم مما تقدم أن الأحكام القضائية التي أنزلها الله تعالى قليلة جداً وقد علمت ما قيل في إقامتها في دار الحرب لا سيما عند الحنفية، فإذا كانت الحدود لا تقام هناك فقد عادت أحكام العقوبات كلّها إلى التعزير الذي يفوض إلى اجتهاد الحاكم، والأحكام المدنية أَوْلى بذلك لأنها اجتهادية أيضاً، والنصوص القطعية فيها عن الشارع قليلة جداً. وإذا رجعت الأحكام هناك إلى الرأي والاجتهاد في تحرِّي العدل والمصلحة وأجزنا للمسلم أن يكون حاكماً عند الحربي في بلاده لأجل مصلحة المسلمين، فالذي يظهر أنه لا بأس من الحكم بقانونه لأجل منفعة المسلمين ومصلحتهم. فإن كان ذلك القانون ضارّاً بالمسلمين ظالماً لهم فليس له أن يحكم به ولا أن يتولّى العمل لواضعه إعانةً له.

وجملة القول: أن دار الحرب ليست محلاً لإقامة أحكام الإسلام، ولذلك تجب الهجرة منها إلا لعذر أو مصلحة يؤمَنُ معها من الفتنة في الدين، وعلى من أقام أن يخدم المسلمين بقدر طاقته، ويقوّي أحكام الإسلام بقدر استطاعته، ولا وسيلة لتقوية نفوذ الإسلام وحفظ مصلحة المسلمين مثل تقلّد أعمال الحكومة، ولا سيما إذا كانت الحكومة متساهلة قريبة من العدل بين جميع الأمم والملل كالحكومة

الإنكليزية. والمعروف أن قوانين هذه الدولة أقرب إلى الشريعة الإسلامية من غيرها، لأنها تفوض أكثر الأمور إلى اجتهاد القضاة، فمن كان أهلاً للقضاء في الإسلام وتولى القضاء في الهند بصحة قصد وحُسن نية يتيسّر له أن يخدم المسلمين خدمة جليلة، وظاهر أن ترك أمثاله من أهلِ العلم والغيرة على القضاء وغيره من أعمال الحكومة تأثُّماً من العمل بقوانينها يضيِّع على المسلمين معظم مصالحهم في دينهم ودنياهم، وما نُكب المسلمون في الهند ونحوها وتأخروا عن الوثنيين إلا بسبب الحرمان من أعمال الحكومة، ولنا العبرة في ذلك بما يجري عليه الأوربيون في بلاد المسلمين، إذ يتوسّلون بكل وسيلة إلى تقلد الأحكام، ومتى تقلدوها حافظوا على مصالح أبناء ملَّتهم وجنسهم، حتى كان من أمرهم في بعض البلاد أن صاروا أصحاب السيادة الحقيقية فيها، وصار حكامها الأولون آلاتٍ في أيديهم.

والظاهر مع هذا كله أن قبول المسلم للعمل في الحكومة الإنكليزية في الهند (ومثلها ما هو في معناه) وحكمه بقانونها هو رخصة تدخل في قاعدة ارتكاب أخفّ الضررين، إن لم يكن عزيمة يُقصد بها تأييد الإسلام وحفظ مصلحة المسلمين. ذلك أن تعده من باب الضرورة التي نفذ بها حكم الإمام الذي فقد أكثر شروط الإمامة، والقاضي الذي فقد أهم شروط القضاء ونحو ذلك. فجميع حكّام المسلمين في أرض الإسلام اليوم حكّام ضرورة. وعُلم مما تقدّم أنّ من تقلد العمل للحربيّ لأجل أن يعيش براتبه فهو ليس من أهل الرخصة، فضلاً عن أن يكون من أصحاب العزيمة. والله أعلم.

(تنبيه) دار الحرب بلاد غير المسلمين وإن لم يُحاربوا. وكانت القاعدة أنّ كل من لم يعاهِدْنا على السلم يُعَدّ محارباً.

* * *

المبحث الثامن

الجنّة

الجنة دار النعيم الأولى للمؤمنين بالله ورسوله وماتوا على ذلك، وفيها كما ورد في الحديث الذي رواه أبو سعيد رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» أخرجه البزار والطبراني في الأوسط. والجنة يدخلها كل من آمن بالله ورسوله وحرمت على كل من لم يؤمن بالله ورسوله، حيث قال الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾(٢).

ويوضح ذلك قولُ النبي عليه الصلاة والسلام في الأحاديث الآتية:

١ - عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني آتٍ من ربي فأخبرني - أو قال بشرني - أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق، قال: وإن زنى وإن سرق» أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

٢ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يُدخل الله أهلَ الجنة الجنةَ يدخل من يشاء برحمته، ويُدخل أهلَ النار النار ثم يقول

---

(١) الآية ٩ من سورة التغابن.

(٢) الآية ٣٠ من سورة فصلت.

انظروا من وجدتم في قلبه حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيُخرجون منها جمّاً قد امتحشوا، فيُلْقَوْن في نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل أَلَمْ تَرَوْها كيف تخرج صفراء ملتوية» متفق عليه.

٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»[١] أخرجه البخاري.

فيتضح من النصوص السابقة أنّ كـل من شهد بأنْ لا إله إلا الله دخل الجنة، أي مصيره إلى الجنة وإن دخل النار.

٤ ـ وعن المقداد بن عمرو الكندي وهو ممن شهدوا بدراً أنه قال: يا رسول الله إن لقيتُ كافراً فاقتتلنا فضرب يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ بشجرة وقال أسلمت لله، أأقْتله بعد أن قالها؟ قال رسول الله ﷺ: «لا تقتله»، قال: يا رسول الله فإنه طرح إحدى يديَّ ثم قال ذلك بعد ما قطعها أأقتله؟ قال «لا تقتله، فإنْ قتلتَه فإنه بمنزلتك قبل أن تقتُلَه وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمتَه التي قالها» أخرجه البخاري.

٥ ـ وروى أسامة بن زيد بن حارثة قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة فصبَّحْنا القوم فهزمناهم ولحقتُ أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم. قال: لمّا غشيناه قال: لا إله إلا الله. قال: فكفّ عنه الأنصاري فطعنته برُمحي فقتلتُه. قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبيَّ ﷺ. قال: فقال لي: «يا أسامة أقتلتَه بعد أن قال لا إله إلا الله» فما زال يكررها علي حتى تمنَّيْتُ أني لم أكن أسلمت قبل ذلك. أخرجه البخاري.

٦ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان غلام يهوديّ يخدم النبي ﷺفمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال:

---

(١) بدء الكلام يرشد إلى معناه وآخره يبيّن أن المراد بالأمة أمة الدعوة وبالإباء عن الدخول والامتناع عن سلوك جادّته الموصلة إليه، أي من لبّى دعوتي ونهج طريقتي واعتصم بالكتاب والسُّنّة فقد تدرّع بأقوى جُنّة وتبوّأ خير دار، له فيها نعيم مقيم، ومن أدبر وتولّى وشرد شراد البعير فقد أبى وحسبه جهنم وبئس المصير.

أطع أبا القاسم، فأسلم فخرج وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار»[1] أخرجه البخاري.

٧ ـ وعن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله» أخرجه أحمد في المسند وفي البخاري لفظ مقارب.

٨ ـ وقال عليه الصلاة والسلام: «من لقي الله لا يُشرك به شيئاً دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق» أخرجه أحمد.

٩ ـ وقال عليه الصلاة والسلام: «من لقي الله وهو لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ولم تضره معه خطيئة كما لو لقيه وهو مشرك به دخل النار ولم تنفعه معه حسنة» أخرجه أحمد والطبراني.

١٠ ـ وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «من لقي الله يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله دخل الجنة» أخرجه الطبراني.

١١ ـ وعن أبي موسى قال: أتيت النبيَّ ﷺ ومعي نفر من قومي فقال: أبشروا وبشِّروا مَنْ وراءكم أنه من شهد أن لا إله إلا الله صادقاً بها دخل الجنة. فخرجنا من عند النبي ﷺ نبشر الناس فاستقبلنا عمر فرجع بنا إلى رسول الله ﷺ فقال عمر: يا رسول الله، إذاً يتكل الناس. فسكت رسول الله ﷺ. قال في «مجمع الزوائد»: رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات.

* * *

(١) ومن أُنقذ من النار دخل الجنة.

المبحث التاسع
الجماعة

الجماعة في اللغة العدد الكثير من الناس الذي يجمعهم غرض واحد. والجماعة في الشريعة الإسلامية من كان على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه مهتدياً بسُنّته. ومفهوم الجماعة كمفهوم الأمة بينهما عموم وخصوص.

فتارة تأتي بمعنى العموم:

١ - كما في قول النبي ﷺ: «فمن فارق جماعة المسلمين فقد اتبع الشيطان ومرق من الدين» متفق عليه.

٢ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنّ من فارق الجماعة شبراً فمات، مات مِيتةً جاهلية» متفق عليه.

٣ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دمُ امرىء مسلم يشهد أن لاإله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث، النفس بالنفس والثيب الزاني والمارق من دينه التارك للجماعة» أخرجه البخاري.

٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ومات، مات ميتة جاهلية» أخرجه مسلم.

٥ - وروى ابن عباس رضي الله عنهما: «من فارق الجماعة شبراً خلع ربقة الإسلام من عنقه» أخرجه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

٦ - «فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض» أخرجه النسائي وأحمد.

٧ - وعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يد الله على

الجماعة فإذا شذَّ الشاذُّ منهم اختطفه الشيطان، كما يختطف الذئبُ الشاةَ من الغنم» الطبراني في الكبير وابن قانع في الأفراد وأبو نعيم في الحلية.

٨ ـ ويدل على أن المقصود بالجماعة جماعةُ المسلمين رسالةُ النبي ﷺ إلى صاحب البحرين حيث قال: «ولَتدْخُلُنّ في الجماعة» ويعني به جماعةَ المسلمين[١].

فيتبين من هذه الأدلة أن المراد بالجماعة أمة الإسلام. وهي ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه. والسنّة هي الهدي النبوي الذي عرَّفه العلماء بأنه كل ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو وصف أو تقرير. وليست السنة ما هو متعارف عندنا اليوم بمذاهب أهل السنة، كمذهب المالكية، والأحناف، والشافعية، والحنابلة، ومن كان على أصولهم، لأن المذاهب لم تبرز إلا فيما بعد القرن الثالث الهجري وهي مدارس اجتهادية في فقه الكتاب والسنة. فالسُّنِّي كل من كان مهتدياً بما صح من السنة النبوية.

كما تبيّن أن الجماعة المقصود بها جماعة المسلمين. وكل من خالف ما هو معلوم من الدين بالضرورة غير متأوِّل فقد خلع ربقة الإسلام عن عنقه. وقال ابن تيمية في العقيدة الواسطية: الجماعة المتّبع لسنة النبي.

وتارةً تأتي بمعنى الخصوص:

١ ـ كما في قول النبي ﷺ: «اتبعوا السواد الأعظم فإنه من شذَّ شذَّ في النار» أخرجه الترمذي.

٢ ـ وقوله ﷺ: «يد الله على الجماعة والشيطان مع من خالف الجماعة يركض» أخرجه الترمذي والنسائي وحسّنه الطبراني في الكبير.

٣ ـ وعن أنس رضي الله عنه، من حديث طويل قال: أمر رسول الله ﷺ بلزوم جماعة المسلمين. أخرجه أحمد والبخاري ترجمةً وكذا الترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي.

---

(١) انظر الرسالة الموجَّهة لهلال صاحب البحرين ص ١٥٦ من مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة لمؤلفه محمد حميد الله.

٤ ـ وقال النبي ﷺ: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب» أخرجه أحمد والطبراني.

٥ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً من حديث طويل: «وأما تَرْكُ السنة فالخروج من الجماعة» أخرجه أحمد.

٦ ـ وعن أبي هريرة مرفوعاً: «الشيطان يهمّ بالواحد والاثنين فإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم» أخرجه مالك في موطئه والديلمي.

٧ ـ وعن ابن عمر قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال: «أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يُستحلف، ويشهد الشاهد ولا يُستشهد، ألا لا يخلُوَنّ رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من إراد بُحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرَّتْه حسنتُه وساءته سيئته فذلك المؤمن» أخرجه الترمذي في سننه وقال: حسن صحيح.

٨ ـ وعرّف الإمام أحمد بن حنبل الجماعة بالتعريف الخاص، حيث قال (الجماعة أهل السنة والجماعة والأثر) والأثر أقوال الصحابة المبيِّنة لسنة رسول الله ﷺ.

٩ ـ ولقد بين ابن القيم في إعلام الموقعين[1] الجماعة الخاصة والشّاذين عنها وأنّ شذوذهم عنها ليس خروجاً من الملة بل خروج من جماعة المسلمين بالمعنى الخاص. وننقل هنا قول ابن القيم بنصه ففيه الكفاية لإيضاح المقصود:

وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ. ذكره البيهقي وغيره.

وقال بعض أئمة الحديث وقد ذُكر له السواد الأعظم: أتدري ما السواد الأعظم؟ قال: هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه. فمسخها المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم والحجة والجماعة هم الجمهور، وجعلوهم عياراً على السنة،

---

(١) ٣٩٧/٣.

وجعلوا السنة بدعة، والمعروف منكراً لقلة أهله وتفرّدهم في الأعصار والأمصار، وقالوا: من شذَّ شذ الله به في النار، وما عرف المختلفون أن الشاذ ما خالف الحق وإن كان الناس كلهم عليه إلا واحداً منهم فهم الشاذون، وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل[1] إلا نفراً يسيراً، فكانوا هم الجماعة، وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة وأتباعه كلهم هم الشاذّين[2]، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة. ولما لم يتحمل هذا عقول الناس قالوا للخليفة: يا أمير المؤمنين أتكون أنت وقضاتُك وولاتُك والفقهاء والمفتون كلهم على الباطل وأحمد وحده هو على الحق؟ فلم يتسع علمه لذلك فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل. فلا إله إلا الله، وما أشبهَ الليلةَ بالبارحة، وهي السبيل المَهْيَع لأهل السنة والجماعة وحتى يَلْقَوْا الله، مضى عليها سلفهم، وينتظرها خلفهم. ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. انتهى.

ويتبين من هذا المبحث بأن الجماعة تأتي بمعنى العموم وبمعنى الخصوص.

وبناءً على معنى العموم: كل من فارق المسلمين، أي فارق الإسلام، فقد خلع عن ربقته ملة الإسلام وعَهْده وانتقل من أمة الإجابة إلى أمة الدعوة، فيُستتاب وتُزال من ذهنه الشبهة التي ردّته عن الإسلام، وإن لم يتب فيُقتل ردةً.

وبناءً على معنى الخصوص: المفارق هو من فارق جماعة المسلمين أي ما اجتمع عليه السواد الأعظم من المسلمين أصحاب الحق وهم من كانوا على ما أجمع عليه أئمة المسلمين، ويسمى مخالفهم مبتدعاً وليس خارجاً عن الإسلام ولا خارجاً عن دائرة أمة الإجابة.

فرع: حديث لا تجتمع أمتي على ضلال:

ويبين أن المخالف للجماعة من أمة الإجابة وليس خارجاً عنها، وأن أمة الإجابة لا تجتمع على ضلالة ما ذكره العجلوني في «كشف الخفاء»، ونصُّه كالآتي عند قوله في حديث «لاتجتمع أمتي على ضلالة»:

---

(١) في محنة خلق القرآن.

(٢) ولم يقل أحد بخروجهم من الإسلام، فشذوذهم خروجهم من الجماعة فقط.

رواه أحمد والطبراني في الكبير وابن أبي خيثمة في تاريخه عن أبي نضرة الغفاري رفعه في حديث «سألت ربي ألاَّ تجتمع أمتي على ضلالة فأعطانيه»، والطبراني وحده وابن أبي عاصم في السنّة عن أبي مالك الأشعري رفعه «إن الله أجاركم من ثلاث خلال: ألا يدعُوَ عليكم نبيُّكم فتهلكوا جميعاً، وألا يظهرَ أهلُ الباطل على أهل الحق، وألاَّ تجتمعوا على ضلالة»، ورواه أبو نعيم والحاكم، وأعله اللالكائي في السنة، وابن منده، ومن طريقه الضياء عن ابن عمر رفعه: «إن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة أبداً وإن يد الله مع الجماعة، فاتبعوا السواد الأعظم، فإن من شذ شذ في النار»، وكذا عن الترمذي لكن بلفظ «أمتي»، ورواه عبد بن حُميد وابن ماجه عن أنس رفعه «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم»، ورواه الحاكم عن ابن عباس رفعه بلفظ «لا يجمع الله هذه الأمة على ضلالة، ويد الله مع الجماعة»، والجملة الثانية عند الترمذي وابن أبي عاصم عن ابن مسعود موقوفاً في حديث «عليكم بالجماعة، فإن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة»، زاد غيره «وإياكم والتلوُّنَ في دين الله». وبالجملة فالحديث مشهور المتن، وله أسانيد كثيرة، وشواهد عديدة في المرفوع وغيره، فمن الأول: «أنتم شهداء الله في الأرض»، ومن الثاني قول ابن مسعود: (إذا سُئل أحدكم فلينظر في كتاب الله، فإن لم يجده ففي سنة رسول الله، فإن لم يجده فيها فلينظر فيما اجتمع عليه المسلمون، وإلا فليجتهد). انتهى[1].

ويوضح ذلك ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب قال: «أما بعد فإن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» رواه مسلم.

فالحق كل ما كان موافقاً لكتاب الله وسنة رسوله أو ما وافق كتاب الله أو سنة رسوله من إجماع المسلمين أو اجتهادهم قياساً على كتاب الله وسنة رسوله منطوقاً أو مفهوماً كما أوضح ذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيما تقدم. وما سوى ذلك فهو ابتداع إلا أنه تعتريه الأحكام الخمسة أي الوجوب، والحرمة، والاستحباب، والكراهة، والإباحة. انظر كتاب «السنة والبدعة» للسيد عبد الله بن محفوظ الحداد.

* * *

(١) انظر الحديث رقم ٢٩٩٩ من كتاب كشف الخفاء للعجلوني: ٢/٤٧٥.

المبحث العاشر
الزندقة

الزنادقة هي نحلة من نحل الملحدين عُرفت ما قبل الإسلام في الفلسفة الزرتشية والزردشتية والمانوية والثنوية، وجدّد الدعوة للزندقة في عصر الدولة العباسية ابن الراوندي وبشار، ودعا لها كثيرون من بعدهم في المشرق والمغرب إلى يومنا هذا. ومرتكز هذه الدعوة الإلحاد، وأتباع هذه الدعوة في النار، للأدلة الآتية. والزنادقة في اللغة، قال الجوهري في الصحاح: (الزندقة من الثنوية، وهو مُعرَّب، والجمع الزنادقة)، وقال ابن منظور في لسان العرب: (الزنديق القائل ببقاء الدهر، فارسي، معرب زندكر، أي يقول ببقاء الدهر)، وذُكر في المعجم الوسيط: (تزندق: صار زنديقاً، والزندقة القول بأزلية العالم، وأُطلق على الزردشتية والمانوية وغيرهم من الثنوية، وتُوُسِّع فيه فأُطلق على كل شاكّ أو ضالّ أو ملحد، والزنديق من يؤمن بالزندقة معرَّب زندِكراي).

وعندما خلق الله سبحانه وتعالى أبا البشرية جمعاء سيدنا آدم ووضع ذريته في صلبه أشهدهم على الإيمان به وألّا يُلحدوا به ولا يشركوا وأن يخلصوا له العبادة وحده عزّ وجلّ إلى أن يأتي بالأرض ومن عليها يوم الجزاء والحساب، وقد بيّن ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ * أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[1].

وبيَّن رسول الله ﷺ هذا العهد الذي أخذه الله تعالى على ذرية بني آدم وبيَّن أن المركوز في فطرتهم هو الإسلام، حيث قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على

---

(١) الآيتان ١٧٢ و١٧٣ من سورة الأعراف.

الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصّرانه أو يمجِّسانه» رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ولكن إبليس لعنه الله لَبَّس على كثير من بني آدم وجعلهم ينكرون وجود الله تعالى، فقد عُرفت هذه الدعوات منذ ما قَبل البعثة المحمدية. فمنها دعوة:

(١) الزردشتية[١]: ـ الزَّرْدَشتية ـ في القرن السابع والسادس قبل الميلاد:

وهي نسبة إلى زردشت بن يورشب الذي ظهر في عصر كَشتَاسِبْ بن كهْراسِبْ الملك الفارسي، وتجعل هذه النحلة من مبادئها النور والظلمة، وقال لم يمتزجا، منذ كان وجود العالم، وهما يتقاومان ويتغالبان إلى أن يغلب النور الظلمة والخير الشر.

ولزرادشت كتاب ألفه ويسمى (زند أوسنا) ويقسم العالم إلى قسمين الروحاني والجسماني، ويقسمه أيضاً تقسيماً آخر يسميه (التقدير والفعل) وكل واحد مقدر على الثاني. ومعبوده (أورمزد)[٢].

(٢) المانوية: في القرن الثالث الميلادي[٣]:

وممن انتهج الزندقة المانوية، وهي نسبة لماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في عصر الملك سابور بن أردشير، وهو بعد عصر المسيح عيسى ابن مريم.

ومبادئها النور والظلمة، وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا. ومن مبادىء المانوية:

(أ) دفع عُشر الأموال.
(ب) وأربع صلوات في اليوم والليلة.
(ج) الدعاء إلى الحق.
(د) ترك الكذب والقتل والسرقة والزنا والبخل والسمر.
(هـ) ترك عبادة الأوثان.

---

(١) الموسوعة الثقافية.
(٢) انظر كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني. الجزء الأول.
(٣) الموسوعة الثقافية.

(و) وأن يأتي على ذي روح ما يكره أن يُؤتى إليه بمثله[1].

(٣) المزدكية:

وهي نسبة لمزدك الذي ظـهر في عهد قباذ والد أنوشروان، ومبادىء المزدكية كمبادىء المانوية في الكونين والأصلَيْن. ومن تعاليم مزدك النهي عن المخالفة والمباغضة والقتال. ولمّا كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال، أحلّ النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهـم في الماء والنور والكلأ، وحُكي عنه أنه أمر بقتل الأنفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة.

وكل هذه الفرق في النار وكل من حذا حذوها إلى قيام الساعة، كما دلت عليه الأحاديث الآتية:

١ ـ ما رواه ابن النجار وصححه الحاكم بلفظ غريب وهو: «ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا واحدة»، وفي رواية للديلمي «الهالك منها واحدة» قال العلماء هي الزنادقة.

٢ ـ وذكر بهامش الميزان عن أنس رضي الله عنه بلفظ «تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا واحدة هي الزنادقة»، وفي رواية عنه أيضاً «تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة إني أعلم أهداها: الجماعة» انتهى. وبهامش الميزان كما ذكره إسماعيل العجلوني في «كشف الخفاء» بأنه مذكور في تخريج أحاديث مسند الفردوس للحافظ ابن حجر ولفظه:

٣ ـ «تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا واحدة وهي الزنادقة» أسنده عن أنس، قال: وأخرجه أبو يعلى.

٤ ـ ويشهد له من الحديث الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» أخرجه البخاري.

والزنادقة يأبون دعوة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ويتبعون كل زاعق وناعق وضال، وبهذا يكونون من أهل النار.

---

(١) انظر كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني الجزء الأول.

فرع: الزنادقة في عصر الدولة العباسية:

وفي عصر الدولة العباسية، أطلّتْ الزندقة برأسها مرة أخرى عندما عمل كثير من الزنادقة على ترجمة ونشر كتب الزنادقة المانوية والمزدكيين كابن المقفع[1] وغيره ممن استهوتهم الزندقة لكي يشبعوا غرائزهم الحيوانية، ومن دعاتها: أبو العلاءالمعرِّي[2] وبشار بن بُرد[3] ثم جسَّدها بالدعوة الصريحة ابن الراوندي[4] الذي كان متأثراً بشيخه أبى عيسى[5] الورّاق شيخ الزنادقة، وهو يهودي الأصل حيث هاجم فيها الإسلام وجميع الأديان المنزلة، وهو يذهب إلى أن العقائد الدينية لا يُسَلِّم بها العقل ولذلك يجب إنكارها وأن المعجزات التي تُنسب إلى الأنبياء بدع محض وأن القرآن ليس كتاباً منزلاً بحال وهو لا يتسم بالجلال أو بالجمال الذي لا يضارَع، وأن الأنبياء يمكن تشبيههم بالعرّافين والسحرة. ودوّن في هذه الموضوعات كتابين، الأول: كتاب «الدافع» الذي انتقد فيه القرآن، والآخر: كتاب «الزُّمُرُّد»، وفي هذا الكتاب ينقد ابن الراوندي فكرة النبوة عامة، ونبوة نبينا محمد ﷺ خاصة، وقد تولى الرد على الزنادقة أئمة الإسلام من بينهم: الخياط والجدائي وأبو هاشم والأشعري وأبو سهـل النوبختي وغيرهم. انظر «مروج الذهب» للمسعودي و «دائرة المعارف الإسلامية» وكتاب «الزندقة والشعوبية» لسميرة مختار الليثي و «الملل والنحل» للشهرستاني. واستمر دعاة الزندقة في دعواهم، فقد أتى ماركس بدعوته وداروين بفرضيّته، ثم مصطفى كمال[6] أتاتورك، وجـورجي زيدان، وسـلامة

---

(١) عبد الله (روزبة) ابن رازوية ولد ٧٢٤ ميلادية بجو بفارس وكان أديباً مترجِماً، وقُتل بالبصرة عام ٧٥٩ ميلادية.

(٢) أبو العلاء المعرّي: أبو العلاء أحمد وُلد بمعرة النعمان قرب حلب عام ٩٧٣ ميلادية، وتوفي في بلدته عام ١٠٥٧ ميلادية، وكان فيلسوفاً شاعراً نباتياً ويُعَدّ من الزنادقة.

(٣) بشار بن بُرد ولد عام ٧١٤ م بالبصرة وقتل بها عام ٧٨٤ م وكان شاعراً وخطيباً وكاتباً، اشتهر بالهجاء والخلاعة والزندقة.

(٤) هو أبو الحسن أحمد بن إسحٰق ٨٢٠ ـ ٨٥٩ م متكلم، ثم ألحد وتزندق وهاجم الإسلام.

(٥) محمد بن هرون الورّاق توفي عام ٨٦١ م، وكان متكلماً زنديقاً مانوياً يتمثل فكره في كتابه (المشرقي) النوح على البهائم.

(٦) مصطفى كمال أتاتورك أي أبو الأتراك كما أطلق على نفسه، واشترك في ثورة حزب تركيا الفتاة ضد الخلافة العثمانية وأسقط الخلافة سنة ١٩٢٤ م وأعلن الدولة العلمانية في تركيا واستبدل الحروف العربية بالحروف اللاتينية في اللغة التركية، وسلخ تركيا عن الإسلام وألغى الشريعة الإسلامية واستبدل بها الأنظمة الغربية، توفي عام ١٩٣٨ م وهو يهودي الأصل.

موسى[١]، وطه حسين[٢]، وسارتر[٣]، وميشيل عفلق[٤]، وجورج حبش[٥]، وغيرهم. ثم صارت الزندقة تأخذ شكلاً آخر لإلهاء الشعوب وعزلها عن الدين القيم بوضع نظريات الشيوعية[٦] الماركسية والاشتراكية[٧] والديموقراطية[٨] والرأسمالية[٩]

---

(١) سلامة موسى: كاتب مصري عُرف بإعجابه بالثقافة العلمية الحديثة وبدعوته إلى الأفكار الاشتراكية في الاجتماع والسياسة والأدب، اشترك في تحرير (الهلال) و (البلاغ) و (المصور) و (أخبار اليوم)، أسس المجلة الجديدة. ومن مؤلفاته: نظرية التطور، وأحلام الفلاسفة، وتربية سلامة موسى، والأدب والحياة، كلها تدعو إلى الزندقة وهو نصراني.

(٢) طه حسين: أديب مصري عُرف بزندقته ودعوته إلى التغريب والاستخفاف بالدين والتشكيك فيه، انظر: كتاب محاكمة فكر طه حسين لأنور الجندي.

(٣) سارتر: كاتب فرنسي زنديق فيلسوف زعيم الفلسفة الوجودية في القرن العشرين، وُلد عام ١٩٠٥ م. من مؤلفاته: (الوجود والعدم) و (الوجودية) وله عديد من الروايات تصب كلها في فكرته الوجودية.

(٤) ميشيل عفلق: نصراني سوري أسس حزب البعث مع صلاح الدين البيطار، وهو حزب علماني قومي، ينادي بفصل الدين عن الحياة. ومن أهم مؤلفاته: كتاب في سبيل البعث، وعاش بقية عمره في بغداد وأُطلق عليه الزعيم المؤسس، وقد مات سنة ١٩٨٩ م.

(٥) جورج حبش: نصراني فلسطيني من مؤسسي حركة القوميين العرب، وتدعو هذه الحركة إلى معاداة الإسلام، وتبنّت أخيراً الفكر الماركسي.

(٦) الشيوعية: مصطلح يدعو إلى وضع الملكية في يد الدولة، والشيوعية دعوة قديمة. والمقصود هنا الشيوعية الحديثة التي تبناها كارل ماركس اليهودي، ومن أهم كتبه في هذه الدعوة الضالة كتاب «رأس المال». وأُعلنت الشيوعية الحديثة وظهرت بعد البيان الشيوعي سنة ١٨٤٨ م، وسيطر الشيوعيون على السلطة في روسيا في ثورة ١٩١٧ م وامتدت إلى بعض دول أوربا الشرقية والصين والهند الصينية. ودعوتها تحرض العمال للسيطرة على السلطة ومحاربة الرأسمالية والأديان وهي دعوة إلحادية.

(٧) الاشتراكية: هي مرحلة أولى للشيوعية بكافة ألوانها سواءً اشتراكية ديموقراطية أو فابية أو عربية أو غيرها من أنواع الاشتراكيات، ترفع شعار الكفاية والعدل وتختلف كل اشتراكية عن الأخرى في مفهومها لتنازع الطبقات. ولم تستطع تطبيق شعاراتها في العالم الإسلامي وثبت كذب تلك الشعارات.

(٨) الديموقراطية: كلمة من أصل يوناني، معناها حكم الشعب، وتنصرف إلى كل نظام سياسي يكون الشعب فيه مصدر السلطة وصاحب السيادة، ومن أنواعها أن يمثل الشعب نواباً عن طريق الانتخابات. وأخذت الدولة بعدّة مفاهيم من أنواع الديموقراطية المبينة في الدساتير وقررتها في دساتيرها.

(٩) الرأسمالية: نظام اقتصادي يقوم على الملكية الخاصة لموارد الثروة، ويُطلق المجال لحريات الأفراد والمشروعات الخاصة. وتأخذ بهذا النظام الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا واليابان وألمانيا الغربية وغيرها من الدول التابعة للنظام الرأسمالي.

والقومية(١) والوطنية(٢).

وكل هذه المبادىء لم يُنزل الله بها من سلطان وألهت الشعوب والأمم بوثنيات تُعبد من دون الله وضلّت وأضلّت، وكل هؤلاء الذين يعتنقون هذه المبادىء إذا علموا بمخالفتها للشريعة الإسلامية مختارين مقتنعين فإنهم من أهل النار للأدلة السالفة الذكر. ولقد تصدى لهؤلاء بالرد كثير من العلماء المسلمين في مؤلفاتهم العديدة، منهم: السيد الشهيد محمد باقر الصدر، الدكتور محمد البهي، والشهيد سيد قطب، والدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر.

وهذه الدعوات خارجة عن الإسلام لقول النبي ﷺ:

١ ـ من حديث طويل أخرجه مسلم عن حذيفة بن اليمان قال: قلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ فقال النبي ﷺ: «نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها».

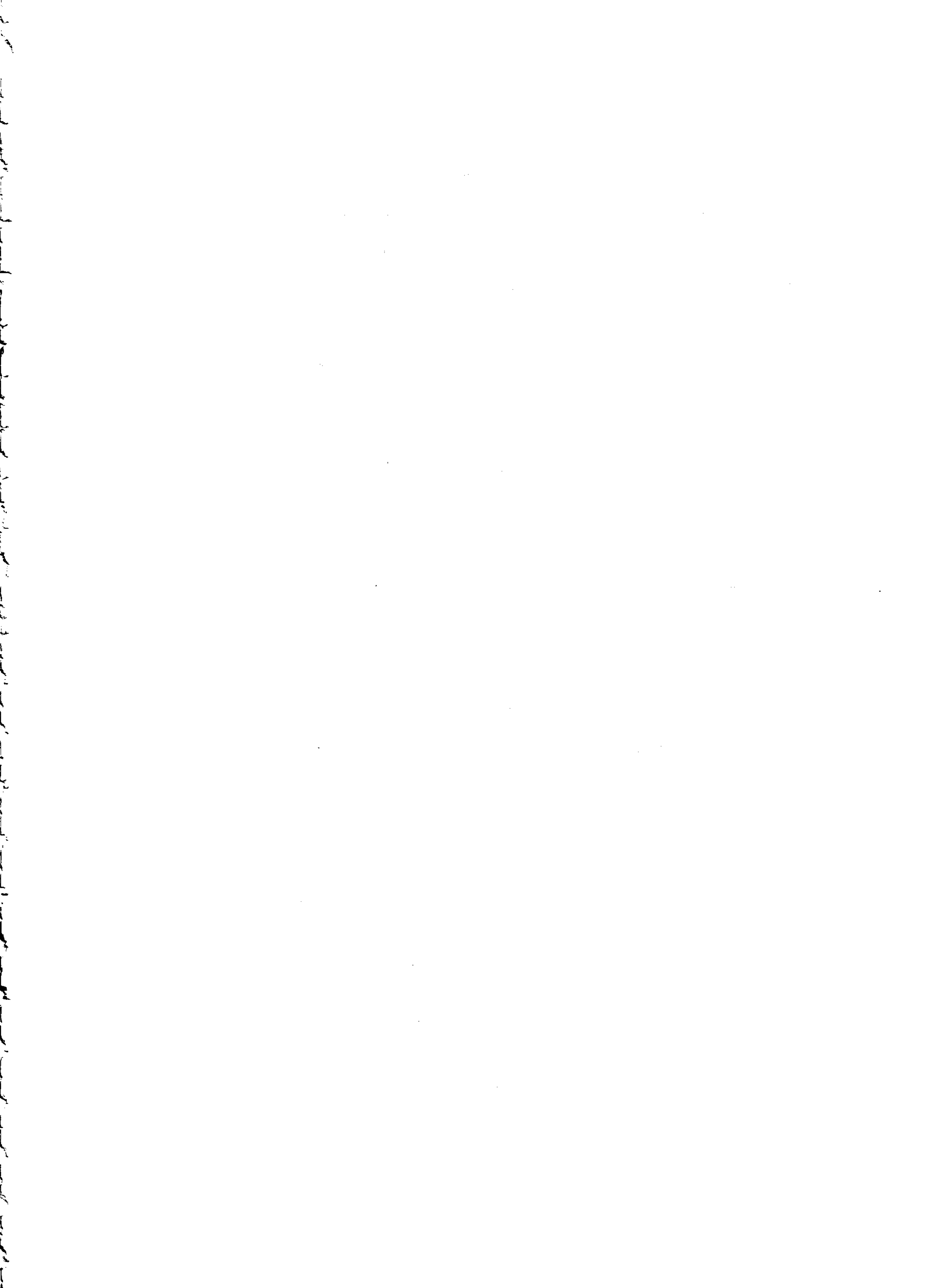
٢ ـ ومن حديث طويل آخر أخرجه مسلم عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنْس».

٣ ـ ومن حديث أخرجه النسائي عن الحارث الأشعري أنّ رسول الله ﷺ قال: «من دعا بدعوة الجاهلية فإنه من جثى جهنم، قال رجل: يا رسول الله وإن صام وصلى؟ قال: نعم وإن صام وصلى، فادْعُوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عبادَ الله».



(١) القومية: الانتماء إلى أمة معينة والتعلق بها، وتقوم على عنصرين: عنصر موضوعي يتمثل في الروابط المشتركة التي تجمع بين أفراد شعب هذه الأمة كالاشتراك في الأصل أو اللغة أو العقيدة، وعنصر معنوي أو شعوري يتمثل في الحالة النفسية التي يولدها الشعور بالانتماء والتعلق بالوحدة. وبناءً على هذا الانتماء ظهرت حركة القوميات في أوروبا خلال القرن التاسع عشر وانتشرت في العالم الإسلامي خلال القرن العشرين، ومن أهم الدعوات القومية: القومية العربية.

(٢) الوطنية: هي دعوة تعصّبية لقطر أو إقليم، متطوِّرة عن التعصب القبلي الذي نهى عنه الإسلام عندما قال: لا عصبية في الإسلام. وقديقول قائل: إنّ هناك حديثاً: «حب الوطن من الإيمان» ولكن قال الصغاني: حديث موضوع. انظر «كشف الخفاء».



خلاصة البحث

إن هذا المبحث يوجز ما سبق بيانه في المباحث العشرة الواردة في جزئيات الأحاديث في افتراق الأمة ونظراً لطول هذه المباحث وتشعُّبها أردت أن أوجز هذه المباحث في النقاط الآتية حتى يسهل على القارىء استخلاص النتيجة المقصودة من الكتاب:

١ ـ لقد عملتُ في المقدمة على بيان ضرورة الرجوع في كل قضية من قضايا أمتنا الإسلامية إلى الاحتكام لكتاب الله وسنة رسوله لأنهما الفصل في كل قضية اختُلف فيها، وأوضحتُ في ذلك أقوال العلماء من أئمة الإسلام من صحابة وأئمة مجتهدين في القضايا التي ورد الاختلاف فيها بينهم وبين غيرهم حيث أرجعوا خلافهم لقول الله، فإن لم يجدوا ففي سنة رسول الله. وغاية كل مجتهد الوصول إلى الحق المؤدِّي إلى رضا الله، وفصّلتُ في المقدمة ذلك بسرد عديد من النقول فلتُنظر.

٢ ـ إذا لاحظ القارىء نقداً لبعض أقوال العلماء المصنفين من شرّاح هذه الأحاديث أو الكُتّاب في الفِرَق والملل فإن نقدي لهم نقدٌ يحفظ لهم مكانتهم العلمية. وبينت هذا النقد بالدليل وهؤلاء أئمة وعلماء مجتهدون فمن أصاب منهم له أجران ومن أخطأ له أجر، والخطأ جار على البشرية لأنه من جِبِلّتهم. وللعلماء كثير من الهفوات ولعل أقوالهم بجعل التفرق في هذه الأحاديث واقع في أمة الإجابة من هفوات العلماء، وقد وردت هفوات لعلمائنا في عديد من الأحكام فضلاً عن غيرها من التفاسير والشروح التى لا تخضع لقواعد واستدلالات محددة. انظر في ذلك ما كتبته في مبحث (الذين كتبوا من العلماء في افتراق الأمة) والنقول المبينة في ذلك.

٣ ـ بينت في مبحث (سبب تدوين هذا المصنف) مدى خوفي على أمة الإسلام من الفُرقة بينهم واستغلال الأعداء لفتنتهم وأن يُبْلوا المسلمين بعضهم ببعض كما بلَوْا أمتنا في القرون السابقة وجعلوها تصطلي بنار الحروب بين المذاهب الإسلامية بعضها ببعض في شتى أنحاء العالم الإسلامي، حتى التقى المسلمون بسيوفهم وقَتَل بعضُهم البعض ويُتِّم الأطفال ورُمِّلت النساء وهُدِّمت البلدان والقرى، ولم يحصل المسلمون من وراء تلك الحروب الطائلة التي طحنتهم إلا على الخزي والعار والنار. وأقرب مثال لهذه الحروب المذهبية ما وقع في اليمن بين الشافعية والزيدية، وما أشبهَ الليلة بالبارحة، فلنحذر من أعدائنا الذين ينفخون في نار الفتنة بأفواههم ولنتبع أمرَ ربنا القائل: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾، وقولَ النبي: «مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى». ولنحذر مما حذرنا منه الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام من الفُرقة وتوجيه سلاحنا لبعضنا البعض، في قوله: «لا تَرْجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

٤ ـ لقد بذلت جهدي في جمع الأحاديث الواردة في افتراق الأمة من كتب الأصول، وأوردتها مبيَّنةً بأسانيدها وذاكراً تصحيحها، حتى يطمئن القارىء إلى مكانة هذه الأحاديث، ثم بينت ما ورد من أحاديث في نفس الموضوع من غير كتب الأصول. واكتفيتُ بإيراد النصوص مع ذكر قول من صححها ولم أورد أسانيدها خشية الإطالة ولعدم معرفة بعض رجال هذه الأسانيد من قِبَل عوام الأمة إذ لا يعرفهم إلا المتخصصون، وبعَزْو التصحيح للكتاب فيه الغنية. والمتخصِّص إن أحبَّ الرجوع إلى الكتاب للوقوف على سند الحديث فليرجع له ليطمئن به قلبه. ولكل مجتهد نصيب.

٥ ـ لقد وصلتُ من خلال بحثي للموضوع في كتب شروح هذه الأحاديث وكتب الفِرَق وكتب مَنْ كَتَبَ في العقائد كابن تيمية وغيره إلى قناعة كاملة بأن الفُرقة الواردة في الأحاديث واقعة في أمة الدعوة لا أمة الإجابة. وهذه الأحاديث تبين أن البشرية جمعاء أمةُ نبينا محمد من يوم بعثته إلى قيام الساعة ولا نبي بعده، وأن أمته تنقسم إلى قسمين: أمة دعوة وأمة إجابة. فمن لبَّى بكلمة التوحيد كان من أمة

الإجابة، ومن أعرض عنها فهو مطالَبٌ بها إلى أن يموت وهو من أمة الدعوة. ولا يخفى على كل من علم أوّليات أحكام الإسلام بأن ملة الكفر ملة واحدة وملة الإسلام ملة واحدة والحق واحد والتعدد واقع في ملة الكفر لا أمة الإجابة لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

٦ ـ ثم بيّنا في المبحث الأول أصل اسم اليهود أو بني إسرائيل ومكيدتهم للبشرية ومعاداتهم للإسلام وتحريفهم للرسائل السماوية وقتلهم للأنبياء وكونهم من الخالدين في النار. وأوردنا الأدلة في ذلك وأنهم أتَوْا بعد عديد من الأديان لا تقع تحت حصر وبعد من حَرّفوا فزادوا فِرقة من الكفر والضلال. ويُعتبرون من أمة الدعوة ومطالبون بالإسلام فمن لم يسلم منهم ومات فهو خالد في النار.

٧ ـ وبيّنتُ في المبحث الثاني ما المقصود من العدد عند قوله عليه الصلاة والسلام سبعون فرقة، فالعدد للكَثْرة لا للتحديد. وأوردت في ذلك أدلة عديدة توضّح ذلك، فلتنظر.

٨ ـ وبيّنتُ في المبحث الثالث تعريف النصرانية وما اعتراها من انحراف عن ملة التوحيد وكونَها الملة الثانية والسبعين من ملل أهل الكفر والضلال بعد أن جعلت المسيح ابن الله وقالت بالأقانيم الثلاثة وجعلوا الصلب والفداء من معتقدهم وعندما أتى نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام ولم يؤمنوا به مع علمهم التامّ بنبوته وظلوا على كفرهم فهم من أمة الدعوة المطالبون بالإسلام إلى قيام الساعة. وكل من مات منهم ولم يؤمن بالإسلام فالنار مثواه خالداً مخلّداً فيها أبداً سرمدياً كاليهود وسائر الملل الباطلة من وثنيين وعُبّاد نار وكواكب وغيرها. وبينت الأدلة على كل ذلك، فلتُنظر.

٩ ـ وبينت في المبحث الرابع تعريف الأمة وذكْرَها في كتاب الله وسنة رسوله بمعانٍ متعددة. ثم بينت مقصد الأمة من هذه الأحاديث بأنها أمة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهي البشرية كافة من حين بعثة النبي إلى قيام الساعة، وبينت أن الأمة تأتي بمعنى خاصّ وهي أمة الإجابة الذين أجابوا رسول الله ﷺ لدعوته. وسردت في ذلك أدلة عديدة من كتاب الله وسنة رسوله، وبها يتضح المقصود.

١٠ ـ وذكرت في المبحث الخامس تعريف الملة عند أهل اللغة ثم ذكرت بعض الآيات الواردة فيها لفظة (الأمة)، ثم ذكرت المقصود من مدلول هذه الآيات من كتب التفسير، وألحقته بفائدتين لتمام الصورة.

١١ ـ وكتبت في المبحث الخامس إيضاحاً لكلمة (الملة) في اللغة، ثم سردت بعض الآيات الواردة فيها كلمة الملة ثم أتبعته بإيضاح في عدة نقاط ملخّصة من كتب التفاسير تبيِّن المقصود من الملة في الآيات.

١٢ ـ وبينت في المبحث السادس (ما أنا عليه وأصحابي)، فعرَّفت من هو الصحابي ثم عرفت الإسلام وسردت الآيات المبيِّنة لجزئيات التعريف، ثم بينت من هو المسلم وبماذا يحكم عليه بالإسلام، وسردت الأدلة على ذلك وبينت الفهم المغلوط الذي يسبق إلى أذهان بعض الناس من بعض الأدلة في الإسلام والكفر.

١٣ ـ وبيَّنْتُ في المبحث السابع (النار) بأن النار في الحديث مقصود بها المخلَّد فيها لا مَنْ وجبت له بسبب ذنبٍ، وبيّنت المخلدين في النار وهم المشركون والكفار بالأصالة والمرتدون وكلُّ من أنكر ما كان معلوماً من الدين بالضرورة وأصر على نكرانه بعد توضيح الأمر له، ثم بينت الكفر ومتى يكفر الحاكم المسلم ومتى يجوز الخروج عليه، ثم بينت متى يكفر المسلم، وسقت في ذلك الأدلة الواردة في هذه الموضوعات من كتاب الله وسنة رسوله وأقوال الأئمة. ثم أتبعته بإيضاح لبعض الأدلة التي يسبق إلى ذهن بعض الناس أن المسلم يكفر بها.

وجعلت بعد ذلك ملحقاً في فتوى في مسألة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ للأستاذ رشيد رضا فيها الغُنية فلتُنظر.

سقاف بن علي الكاف

تقـــريظ

بقلم السيد عبد الله بن محفوظ الحداد

عندما طبع الكتاب وانتشر في الآفاق وصلتنا كثير من رسائل الثناء عليه وجعله الأول في موضعه وقد رجع له بعض الأساتذة ومنهم الدكتور محمد محمود رسلان في كتابه «الفِرَق في الميزان» وأكثر النقلَ عنه.

كما وصلني من العلامة المحقق رئيس المجلس العالي للقضاء بحضرموت سابقاً والأستاذ بكلية التربية ـ بالمكلا ـ حضرموت وصاحب كتاب «السنّة والبدعة» السيد / عبد الله بن محفوظ الحداد بحثاً فيه تقرير للكتاب وتعضيد للوجهة التي انتهجتها في تعريف الفرقة الناجية ولتمام الفائدة نلحق هذا البحث بمؤخرة هذا الكتاب والله يجعله في كفة الحسنات يوم العرض عليه.

بسم الله. والحمد لله. والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله، وآله وصحبه ومن والاه وآتبع هداه.

وبعد فقد قرأت بحثاً للكاتب الإسلامي الفاضل الشاب النابه سقاف بن علي الكاف باعلوي سماه (الفرقة الناجية) وهو بحث جيد جداً لم أر من سبقه إليه. جعل الفرقة الناجية جميع أمة الإجابة إلا من كفر ببدعته فخرج بهذا عن أمة الإجابة. وقد قدم الباحث لإثبات هذا الاتجاه ما يسنده ويشهد له من أحاديث الرسول ﷺ فكان هذا الاتجاه في تفسير الفرقة الناجية أحق بالاعتبار من تلك الكتب التي سبحت في غير ماء أو في ما ضحل من الماء لا يمّكن السابح من الاندفاع إلى مداه. وبعد قراءتي لهذا البحث اختمرت هذه الفكرة الجديدة القديمة وظهر لي من قراءاتي السابقة ما يوثقها بما لا يدع مجالاً للشك أن أمة الإجابة كلها هي الفرقة الناجية سواء الظالم منها لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات. ولا يعارض هذا أن بعضاً من الظالم لنفسه يُعذّب عذاب تطهير وإعداد إن احتاج إليه ولم تشمله رحمة الله

الواسعة ولا شفاعة نبيه محمد ﷺ. وقد آن الأوان لأن أقدم للقارىء الكريم ما يجعله يقطع بصحة هذا الاتجاه وسقوط ما عداه من الدعاوى وذلك بشهادة أوثق الأدلة من أوثق المصادر كتاب الله ثم سنة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين من رواة ومفسرين. وهم أئمة البيان والتفسير.

(أ) فأول هذه الأدلة قوله تعالى في سورة فاطر الآية ٣٢ وما بعدها ـ :

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ * جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾. إلى قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾.

(ب) وثانياً الأحاديث التي وردت في تفسيرها نلخصها في الآتي:

١ ـ أخرج الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد مرفوعاً أنه ﷺ: قال في هذا الآية: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ قال: كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة.

٢ ـ وأخرج الفريابي وأحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ قال: فأما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب. وأما الذين اقتصدوا فأولئك يُحاسَبون حساباً يسيراً. وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك يُحْبَسُون في طول المحشر ثم هم الذين تلقاهم الله برحمته. فهم الذين يقولون: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ الآية قال البيهقي: إن كثرة الروايات أظهرت أن للحديث أصلاً. ا. هـ.

٣ ـ وفي تفسيرها أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث كلهم عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ قال: هم أمة محمد ﷺ ورثهم الله كل كتاب أنزل فظالمهم مغفور له ومقتصدهم يحاسَب حساباً يسيراً وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب.

٤ ـ وأخرج الطبراني والبيهقي في البعث عن أسامة بن زيد رضي الله عنه ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ قال قال رسول الله ﷺ: كلهم من هذه الأمة وكلهم في الجنة ـ ومثله عند البيهقي عن عمر مرفوعاً ـ والأصح موقوف.

٥ ـ وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني عن عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: أمتي ثلاثة أثلاث ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسَبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة وثلث يمحَّصون ويكسفون. ثم تأتي الملائكة فيقولون يا ربنا وجدناهم يقولون لا إله إلا الله وحده. فيقول الله: أدخلوهم الجنة لقولهم لا إله إلا الله وحده، واحملوا خطاياهم على أهل التكذيب، وهي التي قال الله ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ وتصديقاً في التي ذكر الملائكة قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ فجعلهم ثلاثة أنواع: فمنهم ظالم لنفسه فهو الذي يكسف ويمحص ومنهم مقتصد وهو الذي يحاسب حساباً يسيراً، ومنهم سابق بالخيرات، فهو الذي يلج الجنة بغير حساب ولا عذاب بإذن الله. يدخلونها جميعاً لم يفرق بينهم يُحَلّون فيها من أساور من ذهب إلى قوله ﴿ لُغُوبٌ ﴾.

٦ ـ وأخرج الفريابي وابن مردويه عن البراء قال رسول الله ﷺ: هذه الآية ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ قال: كلهم ناج وهي هذه الأمة.

٧ ـ وأخرج ابن مردويه والديلمي عن حذيفة سمعت رسول الله ﷺ يقول: يَبعث الله الناس على ثلاثة أصناف وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فالسابق بالخيرات يدخل الجنة بلا حساب والمقتصد يُحاسَب يسيراً والظالم لنفسه يدخل الجنة برحمة الله.

فهذه كلها أحاديث مرفوعة إلى النبي ﷺ وردت بطرق متعددة عن جماعة من الصحابة فمهما يكن في بعض أسانيدها من ضعف فهو منجبر لهذه الكثرة من الشواهد القوية، ولهذا قال البيهقي: إن كثرة الروايات أظهرت أن للأحاديث أصلاً كما سبق.

وسيأتي في كلام الإمام ابن كثير والشوكاني ما يؤكد هذا ويقطع به، كما تشهد به الآثار الآتية:

١ ـ أخرج سعيد منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي في البعث عن عمر بن الخطاب أنه كان إذا نزع بهذه الآية قال: ألا إن سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له.

وأخرج العقيلي وابن لال وابن مردويه والبيهقي من وجه آخر عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ يقول: سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له. وقرأ عمر ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ...﴾ الآية...

٢ ـ وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ.

٣ ـ وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن عثمان بن عفان أنه نزع بهذه الآية ثم قال: ألا إن سابقنا أهل جهاد، ألا وإن مقتصدنا أهل حَضَرِنا، ألا وإن ظالمنا أهل بدونا.

٤ ـ وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي في البعث عن البراء بن عازب في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ قال أشهد على الله أنه قد يدخلهم الجنة جميعاً.

٥ ـ وأخرج عبد بن حميد عن صالح أبي الخليل قال كعب: يلومني أحبار بني إسرائيل أني دخلت في أمة فرقهم الله ثم جمعهم ثم أدخلهم الجنة. ثم تلا هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ حتى بلغ ﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ قال: فأدخلهم الله الجنة جميعاً.

٦ ـ وأخرج عبد بن حميد عن أبي مسلم الخولاني قال: قرأت في كتاب الله

أن هذه الأمة تصنف يوم القيامة على ثلاثة أصناف: صنف يدخلون الجنة بغير حساب، وصنف يحاسبهم الله حساباً يسيراً ويدخلهم الجنة، وصنف يُوقَفون ويؤخذ منهم ما شاء الله ثم يدركهم عفوُ الله وتجاوزُه.

٧ ـ وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير عن عبد الله بن الحارث أن ابن عباس سأل كعباً عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ قال: نجوا كلهم، ثم قال: تحاكت مناكبهم وربِّ الكعبة ثم أعطوا الفضل بأعمالهم.

٨ ـ وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن محمد بن الحنفية قال: أُعطيت هذه الأمة ثلاثاً لم تُعطها أمة قبلها فمنهم ظالم لنفسه مغفور له ومنهم مقتصد في الجنان ومنهم سابق بالمكان الأعلى.

هذه الروايات المرفوعة منها والموقوفة ملخصة من تفسير الإمام السيوطي «الدر المنثور».

وهنا نلخص شيئاً مما جاء في تفسير الحافظ ابن كثير لتأكيد ما سبق وإن كان في بعضها أو معظمها تكراراً، ولأن ما يرتضيه هذا الحافظ الأثري بعد اطلاعه على ما سبقه ـ مع قوة تمييزه ومعرفته بالحديث والأثر ـ يجعل لما يقوله ويختاره ميزة. ولأنه يُعنىٰ بردِّ الضعيف وتوهين الواهن فلترجيحه قيمة كبيرة عند العلماء الموافق والمخالف. قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية ٣٢ فاطر وما بعدها:

قال: يقول الله: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدِّق لما بين يديه من الكتب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الأمة ثم قسمهم إلى ثلاثة أقسام فقال: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ وهوالمفرِّط في فعل الواجبات المرتكب لبعض المحرمات، ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ هو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات. وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ

﴿ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ قال: هم أمة محمد ﷺ ورثهم الله كل كتاب أنزله فظالمهم يُغفر له، ومقتصدهم يُحاسب حساباً يسيراً، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب.

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح وعبد الرحمن ابن معاوية العتبي قالا حدثنا الطاهر بن السرح حدثنا موسى بن عبد الرحمن الصنعاني حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال ذات يوم: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي. قال ابن عباس: السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ. وكذا روي عن غير واحد من السلف أن الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين على ما فيه من عوج وتقصير.

وبعد أن ذكر أقوال بعض من يقول إن الظالم لنفسه هو الكافر وليس من هذه الأمة قال: والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة. وهذا اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية. وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ من طرق يشد بعضها بعضاً ونحن إن شاء الله نورد منها ما تيسر:

١ ـ الحديث الأول: قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الوليد ابن العيزار أنه سمع رجلاً من ثقيف يحدث عن رجل من كنانة عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ﴾ إلى آخر الآية. قال: هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة.

هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي إسناده من لم يسم. وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن شعبة به نحوه ومعنى قوله بمنزلة واحدة أي إنهم من هذه الأمة وإنهم من أهل الجنة وإن كان بينهم فرق في المنازل.

٢ ـ الحديث الثاني: قال الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا أنس بن عياض الليثي أبو حمزة عن موسى بن عقبة عن علي بن عبد الله الأزدي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾. فأما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب. وأما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسَبون حساباً يسيراً. وأما الذين ظلموا أنفسهم

فأولئك الذين يُحبسون في طول المحشر ثم هم الذين تلاقّاهم الله برحمته فهم الذين يقولون ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾.

طريق آخر: قال حدثنا ابن أبي حاتم حدثنا أسيد بن عاصم ثنا الحسين ابن حفص حدثنا سفيان عن الأعمش عن رجل عن أبي ثابت عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله يقول: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾قال: فأمّا الظالم لنفسه فيحبس حتى يصيبه الهم والحزن ثم يدخل الجنة.
ورواه ابن جرير من حديث سفيان الثوري عن الأعمش قال: ذكر أبو ثابت أنه دخل المسجد فجلس إلى جنب أبي الدرداء فقال اللهم آنس وحشتي وارحم غربتي ويسِّر لي جليساً صالحاً. فقال أبو الدرداء لئن كنت صادقاً لأنا أسعد بك منك، سأحدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لم أحدث به منذ سمعته منه. ذكر هذه الآية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فأما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً وأما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من الغم والحزن. وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾.

٣ ـ الحديث الثالث: قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس حدثنا ابن مسعود أخبرنا سهل بن عبد ربه الرازي حدثنا عمرو بن قيس عن ابن أبي ليلى عن أخيه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أسامة بن زيد ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ الآية قال قال رسول الله ﷺ: كلهم من هذه الأمة.

٤ ـ الحديث الرابع: قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عزيز حدثنا سلامة عن عقيل عن ابن شهاب عن عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أمتي ثلاثة أثلاث فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وثلث يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون وثلث يمحصون ويكشفون ثم تأتي الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون لا إله إلا الله وحده. يقول الله صدقوا لا إله إلا أنا أدخلوهم الجنة بقولهم لا إله إلا الله واحملوا خطاياهم على أهل النار. وهي التي قال الله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ

أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ وتصديقها في التـي فيها ذكر الملائكة قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ الآية ، فجعلهم ثلاثة أفواج وهم أصناف كلهم فمنهم ظالم لنفسه فهذا الذي يمحص ويكشف. ا. هـ. غريب جداً.

ثم أردف الحافظ ابن كثير بالآثار التالية:

١ ـ الأثر الأول: عن ابن مسعود. قال ابن جرير حدثني ابن حميد حدثنا الحكم بن بشير عن عمرو بن قيس عن عبد الله بن عيسى عن يزيد بن الحارث عن شقيق بن وائل عن عبد الله بن مسعود قال: إن هذه الأمة أثلاث يوم القيامة: ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً، وثلث يجيئون بذنوب عظام حتى يقول الله عز وجل ما هؤلاء وهو أعلم تباركَ وتعالى؟ فتقول الملائكة هؤلاء جاؤا بذنوب عظام إلا أنهم لم يشركوا بك شيئاً، فيقول الربّ عز وجل: أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي. وتلا عبد الله هذه الآية: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ . . . ﴾ الآية.

قلت وهذا الأثر الذي أورده الحافظ عن ابن مسعود بهذا السند الصحيح، له حكم الرفع كما يظهر من قوله فيه يقول الله وتقول الملائكة فإن هذا لا مجال للاجتهاد فيه.

٢ ـ الأثر الثاني: قال أبو داود الطيالسي عن الصلت بن دينار بن الأشعث عن عقبة بن صهبان الهناتي قال سألت عائشة عن قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ . . . ﴾ الآية، فقالت لي: يا بُنَيّ هؤلاء في الجنة: أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد الرسول ﷺ شهد له رسول الله بالحياة والرزق، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم. قال: فجعلت نفسها معنا.

وهذا منها من باب الهضم والتواضع وإلا فهي من أكبر السابقين.

٣ ـ الأثر الثالث: قال عبد الله بن المبارك رحمه الله: قال أمير المؤمنين عثمان في قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ قال هي لأهل بَدْونا، ومقتصدنا أهل حضرنا، وسابقنا أهل الجهاد. رواه ابن أبي حاتم.

٤ ـ الأثر الرابع: قال عوف الأعرابي حدثنا عبد الله بن الحارث بن نوفل قال حدثنا كعب الأحبار رحمة الله عليه قال: إن الظالم لنفسه من هذه الأمة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم في الجنة ألا ترى أن الله تعالى قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ إلى قوله عزوجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ فهؤلاء أهل النار. رواه ابن جرير من طرق عن عوف ثم قال:

٥ ـ وهو الأثر الخامس: حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن عليةَ أخبرنا حميد عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث عن أبيه قال: إن ابن عباس سأل كعباً عن قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ إلى قوله: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال: تماسَّت مناكبهم وربِّ كعب ثم أُعطوا الفضل بأعمالهم.

٦ ـ الأثر السادس: قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم بن بشير حدثنا عمرو بن قيس عن أبي إسحاق السبيعي في هذه الآية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية. قال أبو إسحاق أمَّا ما سمعت منذ ستين سنة فكلهم ناج. ثم قال:

٧ ـ وهو الأثر السابع: حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم حدثنا عمرو عن محمد ابن الحنفية قال: إنها أمة مرحومة: الظالم مغفور له، والمقتصد في الجنان، والسابق بالخيرات في الدرجات العلى عند الله. ورواه الثوري عن إسماعيل بن سميع عن رجل عن محمد بن الحنفية بنحوه.

٨ ـ الأثر الثامن: قال ابن الجارود سألت محمد بن علي يعني الباقر رضي الله عنهما عن قول الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ فقال هو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

ثم قال الحافظ ابن كثير: فهذا ما تيسر من إيراد الأحاديث والآثار المتعلقة بهذا المقام. وإذا تقرّر هذا فإن الآية عامة في جميع الأقسام الثلاثة في هذه الأمة. فالعلماء أغبط الناس بهذه النعمة ثم ذكر حديث أبي الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول من سلك طريقاً يطلب فيها علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها... الحديث بطوله.

وفي تفسير الحافظ ابن الجوزي المسمى «زاد المسير» عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ قال ابن عباس: إن الله أورث هذه الأمة كل كتاب أنزله.

وقال ابن جرير ومعنى ذلك أنه أورثهم الإيمان بالكتب كلها وجميع الكتب تأمر باتباع القرآن فهم مؤمنون به عاملون بمقتضاه. واستدل على صحة هذا القول بأن الله قال في الآية التي قبلها: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ وأتبعه بقوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ فعلمنا أنهم أمة محمد إذ كان معنى الميراث انتقال شيء من قوم إلى قوم ولم تكن أمة على عهد نبينا انتقل إليهم كتاب من قوم قبلهم غير أمته. ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري المرفوع إلى رسول الله ﷺ: كلهم في الجنة. قال المعلق: رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد بلفظ: هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة، وقال ابن كثير: هذا غريب وفي إسناده من لم يسم، وقد رواه ابن جرير بنحو رواية أحمد وللحديث شواهد يشد بعضها بعضاً. ورواه الترمذي بنحوه وقال حديث حسن غريب وأورده السيوطي في الدرر عن أبي سعيد وزاد نسبته للطيالسي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي.

قال ابن كثير: والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة وهو اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية وكما جاءت الأحاديث عن رسول الله ﷺ من طرق يشد بعضها بعضاً. ا. هـ.

وقال ابن الجوزي في قوله تعالى: ﴿ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ قال: ثم أخبر الله بثوابهم فجمعهم في دخول الجنة فقال: ﴿ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ الآية.

وقال ابن الجوزي في قوله تعالى: وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن: في المراد به خمسة أقوال:

أحدها أنه الحزن لطول المقام في المحشر كما روى أبو الدرداء: عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسَب حساباً يسيراً، وأما الظالم لنفسه فإنه حزين في ذلك المقام». فهذا الحزن والغم وذلك في قوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾.

قال في التعليق: رواه أحمد في المسند وذكره السيوطي في الدر وزاد نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي عن أبي الدرداء.

وفي «فتح القدير» تفسير الإمام الشوكاني عند تفسير هذه الآية: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ﴾ الآية، قال بعد أن ذكر أقوال المفسرين وأورد الأحاديث التي أوردها ابن كثير وغيرها، قال:

وهذه الأحاديث يقوِّي بعضها بعضاً ويجب المصير إليها ويَدفع بها قول من حمل الظالم لنفسه على الكافر. ويؤيدها ما أخرجه الطبراني وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أسامة بن زيد ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾، الآية، قال رسول الله ﷺ كلهم من هذه الأمة وكلهم في الجنة. وما أخرجه الطيالسي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط والحاكم وابن مردويه عن عقبة بن صهبان أنه قال لعائشة: أرأيت قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ...﴾ الآية، قالت: أما السابق فمن مضى في حياة النبي ﷺ فشهد له بالجنة، وأما المقتصد فمن تبع آثارهم فعمل بمثل عملهم حتى لحق بهم، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك ومن اتبعنا، وكل في الجنة.

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود قال: هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة: ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً، وثلث يجيئون بذنوب عظام إلا أنهم لم يشركوا فيقول الربّ: أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي ثم قرأ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية.

وما أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي في البعث عن عمر بن الخطاب أنه كان إذا نزع بهذه الآية ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ﴾ قال: إلا أن سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له.

وأخرجه العقيلي وابن مردويه والبيهقي في البعث من وجه آخر عنه مرفوعاً، وأخرجه ابن النجار من حديث أنس مرفوعاً.

وأخرج البيهقي في البعث وسعيد بن منصور عن البراء بن عازب في قوله ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ الآية قال: أشهد على الله أنه يدخلهم جميعاً الجنة.

وأخرج الفريابي وابن مردويه عنه قال قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ قال: كلهم ناج وهي هذه الأمة.

ثم ذكر ما أخرجه الفريابي وسعيد بن منصور وغيرهم عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ قال هو الكافر، والمقتصد أصحاب اليمين. قال: وهذا المروي عن ابن عباس هنا لا يطابق ما هو الظاهر من النظم القرآني ولا يوافق ما قدمناه من الروايات عن رسول الله ﷺ وعن جماعة من الصحابة. ا. هـ.

قلت: وما قاله الإمام الشوكاني من أن هذه الرواية مرفوضة لأنها لا تطابق النظم القرآني حقّ لأن الله تعالى ذكر بعدها مباشرة أصحاب النار فقال ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾، فهؤلاء قسم وأولئك الذين أُورثوا الكتاب قسم. وهذا واضح لا غبار عليه. ربما نزع بعضهم إلى آيات سورة الواقعة فإن فيها السابقون وأهل اليمين وهذا القسم شامل للمقتصد والظالم، والقسم الثالث هم أصحاب الشمال وهم الكفار وبهذا تلتئم الآيات. يؤكد ذلك أن القرآن في معرض التقسيم لا يذكر إلا أصحاب الجنة وأصحاب النار. فأصحاب الجنة هم الذين فصلتهم آيات فاطر إلى أقسام ثلاثة والكفر كله قسم آخر وهذا القسم هو الذي انْقَسَمَ أهله إلى اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار وهم من أمة الدعوة كما أوضح ذلك المؤلف حفظه الله والفرقة الناجية هي أمة الإجابة كلها وهي التي تركها رسول الله ﷺ وكانت على ما عليه هو وأصحابه من الإسلام والإيمان.

وبهذا أيضاً يرد على تلكم الحملة الظالمة التي يَشُنُّها المغرضون ضدّ مولد الإمام المحدّث ابن الدَّيْبع في إيراده حديث كعب عن هذه الأمة وكونها تأتي يوم القيامة على ثلاث فرق. وذلك ما رواها كعب عن سعد من التوراة كان أبوه يخفيه. وقد علمنا من الآيات الكريمات والأحاديث التي جاءت في تفسير هذه الآية والآثار عن الصحابة والتابعين وأئمة التفسير ما يتفق مع حديث كعب الأحبار جملة وتفصيلاً. فصارت حملتهم إما صادرة عن جهل وإما عن تعصّب، وكلاهما شر نعوذ بالله من ذلك.

حرره: عبدالله بن محفوظ الحدّاد

المكلا

فهرس الموضوعات

تعريف بالمؤلف

وهو سقاف بن علي بن عمر بن شيخ الكاف، من مواليد تريم ـ حضرموت ـ الجمهورية اليمنية عام ١٩٤٦ م، نشأ بمسقط رأسه وتلقى تعليمَه الابتدائي بها بمدرسة الكاف وجمعية الأخوّة والمعاونة ثم برباط تريم، ثم بالمعهد العلمي بتريم، ثم بالأزهر الشريف، وتخرّج عام ١٩٧٠ م من كلية الشريعة والقانون، ثم عمل بسلك القضاء بسيئون ـ حضرموت ـ الجمهورية اليمنية، ثم بالتعليم بالمملكة العربية السعودية.

مؤلفاته:
١ ـ ترجمة موسّعة للإمام علي بن جعفر الصادق المعروف بالعريضي (مخطوط).
٢ ـ حضرموت عبر أربعة عشر قرناً (مطبوع).
٣ ـ مبحث تاريخي وجغرافي عن جمهورية اليمن، مقدم للندوة العالمية للشباب الإسلامي (مطبوع).
٤ ـ دراسة في نسب السادة بني علوي (مطبوع).
٥ ـ حقيقة الفرقة الناجية ، الذي بين يدي القارىء.
٦ ـ معجم بلدان المحافظات الجنوبية والشرقية من الجمهورية اليمنية (مخطوط).
٧ ـ معجم قبائل المحافظات الجنوبية والشرقية من الجمهورية اليمنية (مخطوط).
٨ ـ تاريخ عام عن المحافظات الجنوبية والشرقية من الجمهورية اليمنية منذ الغزو الأوروبي إلى بداية القرن الخامس عشرَ الهجري.
٩ ـ الأمثال الحضرمية (مخطوط).
١٠ ـ مجموعة مقالات وردود في الصحافة والمجلات.
١١ ـ تعليقات على كتاب الشواهد الجلية في مدى الخلف في القاعدة الخلدونية، للسيد العلاّمة النسّابة عبد الله بن حسن بالفقيه (مطبوع).
١٢ ـ تعليقات على كتاب الدور الكافي للأستاذ العلاّمة الأديب المؤرّخ محمد بن هاشم بن طه (مخطوط).
١٣ ـ هذه شريعتنا (تحت الطبع).
١٤ ـ الثمار الجنية ، معجم في فقه السادة الشافعية .